# ماريا

للكاتبة التركية

أمينة أوزقان شنلك أوغلي

## مقدمة الطبعة الثانية

لقد قابلت الطبعة الأولى للكتاب – بفضل الله اقبالاً شديداً بل وقد كان لها تأثيراً نفسياً وعملياً على كل من حاورناه بعد قراءته...

فلذلك بدأنا في طباعة تلك الطبعة الجديدة ولكن اعلم جيداً أن هذا الكتاب حينما وقع بين يديك كان لحكمة من الله سبحانه وتعالى لك وهناك رسالة يجب أن تستقبلها علها تغير مسار حياتك أيا كان دينك حتى لو كنت مسلم .... بل بالعكس أنني اشعر أن هذا الكتاب موجه أكثر لنا نحن المسلمين الذين اهملنا الالتزام بشرائع الاسلام وافتقدنا معنى لا اله الا الله.

قالت امينة شنلك اوغلي: ان تلك الرواية هي عاشت مع احداثها كلها وانها تعرف ماريا شخصياً..... فهيا بنا ننشرها سوياً ونعمل بما فيها ولا نتعامل معها فقط على انها رواية حقيقية مثيرة ورومانسية وفكرية بل نضع انفسنا مكان شخصياتها فعلى كل منا ان يضع نفسه مكان سلوى ... عبد الوهاب ... ماريا ... محمد .... أمينة .... الخ وباقي شخصيات الرواية وينظر من هو من تلك الشخصيات ومن يتمنى ان يكون ...

الاسلام ليس فقط دين عبادات بل انه اخلاق ومعاملات وقيم وابتسامة ننشرها فيما حولنا...

والله لقد آن الأوان لنترك الدنيا خلف ظهورنا فانا اذكر نفسي واياكم اننا في زمن الفتن وعلامات الساعة تتوالى وحدها تلو الاخرى فهل سنستمر في قول غداً اعمل ...غداً أتغير ....؟؟

**فستذكرون ما أقول لكم**

**وأفوض أمري الى الله**

**الناشر الفقير الى الله**

**الجزء من هذا الكون العظيم**

**يسألكم الدعاء**

**القاهرة ذو القعدة ١٤٣١**

**٢٠١٠/١٠**

# قصة هذا الكتاب

## بسم الله الرحمن الرحيم

عزيز القارئ: أود أن اوضح بعض النقاط المتعلقة بهذا الكتاب.

تصادف ان استمعت في المانيا لحكاية حدثة في الثلاثينيات من هذا القرن عن فتاة تدعى ماريا.

لفتت ماريا انتباهي بشدة. ظللت تبحث عن حقيقة حكايتها عاماً كاملاً تقريباً. وخصوصاً (موضوع فكرية) فقد جئت به من الارشيف.

جميع النصوص التي ذكرتها سواء من القرآن أو الانجيل أو الجرائد مأخوذة عن الاصل.

يقولون لي: لماذا تعطين الحب اهتماماً في قصصك دائماً؟ أجيب قائلة: إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر قصة زليخة في القرآن الكريم قال تعالى: "قد شغفها حباً" إشارة الى حبها ليوسف عليه السلام. وتسعون بالمئة من الناس قد احبوا شخصاً ما. فإذا كان الامر كذلك، فلم لا نطرق هذا الموضوع إذن؟

فإذا لم نبين للشباب خطاً واضحاً في موضوع الحب هذا، فإن الشباب، وخصوصاً المحب لله منهم، يمكن ان ينزلق في حبه الى من لا يؤمن بالله، وقد رأيت امثلة كثير لذلك.

بمعنى انه لو كانت احاسيسنا حقيقية، فانه من الواجب علينا ان نهتم باحاسيس الفرد القلبية قدر اهتمامانا بمعدته وعقله والله جل وعلانا ان نهتم باحاسيس الفرد القلبية قدر اهتمامانا بمعدته وعقله والله جل وعلا اهتم حتى بشهوات الانسان.

واوصيكم ان تقرأوا هذا الكتاب على انه كتاب فكر اكثر منه قصة.

وأود ان اعجبكم هذا الكتاب الذي انوي ترجمته الى الالمانية ان توصوا الاخرين بقراءته.

إخواني الاعزاء.... استودعكم الله، فمن كان وديعة عند الله حرم الله عليه النار.

**أمينة شنلك أوغلي**

**استانبول في ١٩٩٢/٩/١م.**

## ياكل هانز وياكل ماريا اقبلوا

## (شعر)

ايتها الفتاة انجليزية كنت، فرنسية، ام المانية، كلما اطلقت صيحات الحرية اختنقت الدنيا!!! اضطربت وتعرت بشكل مشين بين براثن التكنولوجيا.

الارواح تريد ان تسمو للانسانية، لكن الذنوب تتزاحم عليها.

ايها الانسان غجرياً كنت عربياً او تركياً، عاصياً كنت او مذنباً، اعلم ان: الله فقط هو المستحق للعبادة.

حطم هذه الاصنام ... واعرف الاسلام وادرسه جيداً. فلن تستطيع الهرب من الله، فمصيرك اليه في النهاية. انظر للاباطيل الموجودة حولك.

أهذه هي الحياة الانسانية؟

إذا كان هذا هو العالم الانساني، فأين العالم الحيواني إذن؟

امينة شنلك أوغلى

إستانبول فى ١٩٩٢/٩/١م

## اللقـاء

أقص عليكم حياتي ابتداء من نقطة التحول فيها.

كان الجليد يتساقط بغزارة، بينما الناس ينتظرون على محطة الأتوبيس، ونفس الشاب كان ينتظر الأتوبيس على المحطة.

لماذا يقف هذا الشاب بطريقة مختلفة؟ إنه غالباً أفريقي.....

لعله حزين لما تعانيه اسرته من الجوع، عجباً أإذا دعوتهلركوب سيارتي هل يقبل؟، بعد هذا التفكير اقتربت منه وضغطت بجواره تماماً على فرامل سيارتي.

سألته عن معرفته الالمانية من عدمها!! فأجاب بذوق "اعرف قليلاً".

- تفضل اوصلك للمكان الذي تحب الذهاب اليه.
- وبعد ان نظر الي الشاب اجابني مشيراً الى فتاتين تنتظران على المحطة قائلاً:
- هل ستاخذين هاتين الفتاتين ايضاً؟
- وهنا اضطررت ان ادعوهما للركوب في سيارتي. لم تركب احداهما. اما الاخرى فقد استقلت المقعد الامامي، وجلس الشاب الافريقي في المقعد الخلفي للسيارة.
- وسألني قائلاً: أود أن اعرف منك شيئاً؛ لماذا دعوتني الى سيارتك هل تعرفنا قبل ذلك في مكان ما؟
- اراك كل يوم على هذه المحطة وعندي اهتمامات خاصة بالافارقة. وافريقيا من اكثر الاماكن التي اشعر نحوها بالفضول.

- عظيم ولكن ما سبب اختيارك لي بالذات؟ ولاي مناطق افريقيا تشعرين بهذا الفضول؟
- للجوعى، وآكلي لحوم البشر.
- غريب جداً، فلا يوجد في افريقيا جنس اسمه آكلي لحوم البشر. هذا محض افتراء، وكذب ملفق من قبل المستعمرين. اما انا فمصري. ونحن لا ناكل لحوم احد. ولكننا نرى ونشاهد الذين ياكلوننا. وهذا هو كل ذنبنا.
- غريب جداً ... لغتك الالمانية جيدة، لماذا توجد في المانيا.
- الظروف هي التي حتمت ذلك.
- ما اسمك؟
- عبد الوهاب.
- وانا ماريا. من اصل فرنسي. صحيح! لقد تذكرة شيئاً، لماذا تتعلمون لغتنا بينما لا نهتم نحن بتعلم لغتكم؟
- لقد وضعت اصبعك على الجرح تماماً. فانتم المستعمرون. ومنذ استيلائكم على الدول الاسلامية، اصبح الوضع هكذا، لانكم جعلتمونا نهتم بكل شئونكم.
- اتريد القول بان المسلمين اغبياء؟ فلم رضوا بالاستغلال؟ ادهش سؤالي الشاب العربي. ففكر لحظة، ولمعت الدموع في عينيه وقال:

- نعم لقد جعلتموهم اغبياء باستغلالكم لاحاسيسهم الصادقة.
- اذن لماذا تاتون الى بلدنا؟
- هل دعوتني لركوب سيارتك لكي توجهي الى هذه الاسئلة؟ اذا كان الامر كذلك فاستمعي الي اذن ... ان الام التي يخطف منها وليدها تدور دائماً حول بيت الدب الذي خطفه، نحن ايضاً فقدنا جزءاً كبيراً من قيمنا في ظل الاستعمار الغربي وبالذات الانجليزي. اخذتم منا كل شيء وجعلتمونا تابعين لكم. انظري مثلاً، بينما كنت انتظر الاتوبيس في هذا الجو الجليدي، تجلسين انت في هذه السيارة الفاخرة. اعلمي ان احد اطارات هذه السيارة لي، والآخر لأخي، والثالث لأخي الآخر. فانتم اخذتم منا التقنية وشكلتموها في موديلات مختلفة والآن تتباهون علينا بها. ارجو الا تفهمي مقصدي خطا فانا لا اقصدك بالذات يا آنسة ماري.
- لست ماري، وانما انا ماريا .... أما اذا كنت تفضل نطقها بالانجليزية فهذا أمر آخر.
- لا تؤاخذيني لم الاحظ ذلك.

الفتاة التي تجلس الى جواري، صمتت لمدة ثم التفتت الى الشاب وسالته:

- هل تريد القول بانا مغتصبون؟

- دعونا من هذا، فهذه المناقشة تشعرني بانني في وضع من يتهمكم، دعونا من ذلك.
- آه ....، اسمي مونيكا. وانا شغوفة ببعض الامور المتعلقة بمصر، الاهرامات مثلاً... هل هي كما نقرأ عليها في الكتب؟ وهل يبحثون ويدرسون كيفية بنائها.
- نعم، ولكن اود الاضافة الى عملية بناء الاهرامات ان اوضح لكم معلومة.
- ما هي؟
- عندما يتحدث الغرب عن الاهرامات، يقول بان فرعون استغل الاسرى والعبيد في بناء مجده، لانه لا يفهم سوى هذا النمط من الحضارات، ولكن الحقيقة ليست دائماً كما يريد الغرب.
- ياللعجب انك تستغل كل فرصة لكي تتهم الغرب ... ومع كل هذا فانت موجود هنا.
- ان ديننا لا يمنع الذهاب الى بلاد الاعداء والاستفادة منها. الممنوع هو ان نسخر انفسنا لها. لكننا نسينا الامر الثاني تماماً. ونقوم بتنفيذ الامر الاول بانتظام وكانه فرض من فروض الله.

- كنا قد اقتربنا من الجامعة. وكنت اريد ان اغير الموضوع. فكلما استمر الشاب في حديثه كنت اشبه نفسي بصرصور حقير. الشيء الذي جذب انتباهي هو وضع هذا الشاب المختلف. فسألته دون ان اشعر.
- هل انت متزوج؟
- لا انا خاطب؟
- اين خطيبتك؟
- في مصر.
- هل لها صديق تخرج معه في غير وجودك؟
- ما هذا الذي تقولين؟ نحن لسنا كالغربيين. نحن لا نسمح لزوجاتنا او خطيباتنا بالخرو=ج والتجوال مع شخص آخر. فهذا محرم في ديننا، ولكن الذي يعرف ذلك هو المسلم العالم بامر دينه.
- وماذا عن الرجال؟ هل النساء هن الشريفات فقط عندكم، الا ينبغي ان يكون الرجال كذلك ايضاً؟
- بالطبع يجب ان يكونوا هكذا ... فعقيدتنا في مسالة الشرف هذه تنظر الى الرجل والمرآة بمقياس واحد. وعندما حرمت النظر لم تفرق بين المرأة والرجل. وعقاب الزاني من الجنسين ايضاً واحد.

ولكن مع الاسف فقد خدع الانجليز الذين يستعمرون مصر الآن شبابها وشاباتها. اما خطيبتي فهي مسلمة مستثناة. فلا يمكن ان تخون دينها او ان تخونني.

ما اجمل الثقة، وما اجمل حديثه عن خطيبته. آه ليتك كنت هكذا يا هانز .... ولكن هانز شاب عصري. خطرت ببالي هذه الافكار بعد سماعي لكلامه. اني اغبط هذا الشاب ... وكنت اتمنى ان يكون هانز مثله.

قبل ان ينتهي حديثنا كنا قد وصلنا الى الشارع الآخر، كنا سنفترق بعد قليل. انا لا احب المسلمين ابداً ولكن هذا الشاب كان رقيقاً جداً. وكان كلامه الحزين والقوي يجذب انتباهي. فسألته على سبيل الاختبار؛

- اظنك تدرس في كلية. الا تحاول الفتيات الالمانيات التقرب اليك؟
- يحاولن بالطبع ولكني شاب مستقيم. ولا يمكن ان اعطي اي تنازلات بخصوص مفهومي عن الشرف.
- هراء ...، في اي عصر نعيش؟ فالانسان في هذا العصر محتاج الى صديق.
- توقف الشاب قليلاً ثم اجاب قائلاً:
- لاحظي يا آنسة ماري ان اكثر من نصف مليون طفل يعانون في الملاجئ من الحرمان من الاب والام بسبب العلاقات التي قلتم انكم تحتاجون اليها.

- ما اجمل لو انكم فكرتم في مصر هؤلاء الاطفال بقدر تفكيركم في شهواتكم.
- قالت ماري مرة اخرى: اهو غبي ام ماذا؟ اوه ياللعجب ايوجد بين هؤلاء المسلمين العاجزين من يستطيع التحدث بهذه اللباقة؟ مع انني كنت اشعر بالغثيان عندما كان ابي يتناولهم في حديثه.

في ذلك اليوم اوصلته الى الكلية التي يدرس بها. وشكرني، فاجبته مداعبة:

- لا عليك، فعلى اي حال اطار سيارتي الاول ملكك والثاني ملك احيك والثالث ملك لاخيك الثالث. يعني انني قد وصلتك بسيارتكم. فلا داعي للشكر.

تركني مبتعداً وهو يبتسم.

وفي المساء عند عودتي الى البيت علمت من امي ان ابي مشغول جداً بسبب التخضير للاجتماع السنوي. فانفعلت جداً وقلت لامي:

- ابي واصدقاؤه يجتمعون سنوياً فماذا يفعلون في هذا الاجتماع، صدقيني انا شغوفة جداً لمعرفة ذلك. امي الكاثوليكية المتعصبة كانت ساخطة جداً على ابي اللاديني. لذا كانت اجابتها مليئة بالحقد والاشمئزاز.
- ان اباك واصدقاؤه يحاولون تحويل العالم الى اللادينية. ولذلك فقد كادوا يقضون على دور الكنيسة.
- امي! هل يمكنني ان استمع الى حديث ابي في الاجتماع؟
- لو سمع ابوك ذلك لقتلنا. كما اخشى عليك ان تتاثري بكلامه.

- ما اعجب تفكيرك يا امي ... فانا اصبحت فتاة ناضجة وساصبح صحفية في العام القادم، ومع ذلك امازلت لا تثقين بي؟

امي كانت تشعر بالقلق من ان اصير لادينية كابي او ان افكر مثلما يفكر. آه لو تعلمون كم هو امر صعب ان يولد الانسان لام مسيحية متدينة واب لا ديني؟!

في الواقع انني كنت اشك في جارنا القديم السيد ميشيل الذي كان جاراً لنا منذ عشرين عاماً. فعندما كنت في الخامسة من عمري، اعترض السيد ميشيل طريقي قائلاً:

- هل تعرفين يا ماريا اني ابوك؟ يمكن ان تسالي والدتك عن ذلك.

وبعد ذلك بدأت انظر لابي بشيء من الريبة.ولم استطع ان اسال امي. والآن فانا اعيش في شك. ومع ذلك فانا احب ابي حتى وان كان سيئاً.

كان ابي ضابطاً في فرنسا. وجاء الى هنا في مهمة. ولكني حتى الآن لم أفهم ماهية العمل الذي يقوم به ابي.

لكني ساعرف ذلك. ما سر هذا الثراء؟ ان مرتب ابي عشرون الف مارك تقريباً. امي تقول ان ابي يعمل جاسوساً. اما ابي فانه يربيني بعناية واهتمام. ويحبني اكثر من اي شيء آخر. بالطبع ليس لديه اي شك في اني ابنته. ولو علم بذلك فلن يهتم.

منزلنا عبارة عن فيلا كبيرة ... تحتوي على خمس غرف وقاعة تستوعب مائة وخمسين شخصاً... لقد صمم خصيصاً كقاعات السينما.

كيف اصبح ابي صاحب ثروة طائلة مع انه ابن لاحد الفلاحين؟ رأسي سينفجر من شدة الفضول.

اردت ان استأذن امي، فاقترتبت من قاعة الاجتماع لكي استمع لما يدور بداخلها. ولكني لا استطيع الاستماع حتى ولو لكلمة واحدة .... عجباً ماذا يفعل ابي؟، كانت امي في المطبخ، فذهبت اليها.

– هل تعلمين يا امي انني لم اتمكن من سماع اي شيء؟ صحيح اين اخي بل؟

اجابتني امي وهي تبتعد عني بوجهها العابس قائلة:

– بيل ايضاً في قاعة الاجتماع. ماذا سيحدث، لقد جعله ابوك صورة منه.

لقد تضايقت جداً لهذا الامر. لم لا يدعوني ابي انا ايضاً الى القاعة. مع الشاب الذي احبه واخي موجودان هناك.

خرجوا من القاعة قبل دخول المساء. فجريت نحو ابي بشغف وتعلقت بعنقه معاتبة وقلت له:

– يا ابت اقسم اني عاتبة عليك. لماذا لا تدعوني لحضور الاجتماع. وتسمرت عيناي على وجه ابي بحماس. منتظرة منه جواباً.

فاجابني بصوت حازم ومتدفق:

– لو انك ايضاً تفعلين مثل هانز وبيل وتتنازلين على افكارك المتعصبة وتسمعين لاوامري، ساكلفك بعمل. وبعد ان اعطاني هذه الاجابة صعد الى الطابق العلوي، وتسمرت انا في وسط القاعة.

ولكن خطر ببالي ان اعلم هذا السر من هانز وبيل. نظرنا نحن الثلاثة الى بعضنا. ثم مرقا الى منتصف القاعة. فصرخت في بيل باعلى صوتي.

– ما هذه الاسرار التي لا اعرفها؟ لماذا تخفونها عني؟ واين ما كنتم تقولونه من انني ساصبح مبشرة جيدة؟ اجابني بيل بصوت متقطع قائلاً:

– انك لازلت فتاة مسكينة تنتظر المساعدة من آلهة عيسى. لا تعلمين معنى مجاراة العصر. فهل يليق كشف السر لك؟

فجأة غلى الدم في رأسي. وقذفت بالفازة التي على المنضدة في تجاه بل ... حقير ومتملق!!! أأأنت تتكلم عن السر ايها القزم. لقد فعلت كل ما في وسعك، كل اساليب التملق والنفاق لكي تجعل اباك يقبلك كما يفعل البابا نويل. قبل ان انتهي من كلامي ضحك مقهقهاً قائلاً:

– انظر يا هانز .... حتى الامثلة التي تضربها حبيبتك ماريا مستوحاة من خيالات الكنيسة. لا ادر لم لا نودع هذه الفتاة الدير؟ كانت ستصبح الام تريزا الثانية في حياتنا. ثم التفت الى بيل قائلاً:

– ان هذا العمل لا يتحقق بالرحمة يا ابنتي، وانما يتحقق بالعقل انك مازلت طفلة. مازلت لا تفهمين. لقد ماتت المسيحية تماماً. والدين الاسلامي ينازع في الرمق

الاخير. وقريباً جداً سنقضي على الدين الاسلامي تماماً... لذا يلزمنا ان نتحرك بعقلانية. اذهبي انت وانتهي من دراستك الصحفية. ثم اكتبي عن كيفية تسول البابوات، ثم احصلي منهم على مفتاح الجنة، ها ها ها .... وكوني واسطة لي كي احصل انا ايضاً على واحد من هذه المفاتيح. آسف سأتعبك معي.

كاد كلام بيل يذهب بعقلي. وفجأة لاحظت ان امي تستمع الينا. وكان وجهها قد اكفهر تماماً. وبدأت تصرخ في بيل بصوت يخنقه البكاء قائلة:

– حرام عليك اللبن الذي رضعت مني يا بيل! اتتطاول على معابدنا المقدسة التي عمدناك فيها وتتطاول على آبائك. أبوك هو الذي فعل بك ذلك. ساذهب الى الكنيسة واطلب طردكم منها.

اجابها بيل بمنتهى الوقاحة وعدم الاكتراث قائلاً:

– اذهبي يا امي، اذهبي وبلغي سلامي لابينا.

ذهبت الام الى المطبخ ساخطة غاضبة. اما انا فقد صرخت في هانز بكل قوتي قائلة:

– وانت لم لا تقول شيئاً يا هانز؟! انظر انه يهزأ بكل القيم التي تؤمن بها.

– ماذا يمكنني ان اقول يا ماريا. كل انسان حر في رايه. فانا اؤيد حرية التفكير. فلكل انسان الحق في طرح ما يحلو له من افكار.

– لكن ما قيل هنا ليست افكار. وانما استهزاء بافكارنا. واستهزاء بالكنيسة. وانت صامت.

– انظري يا ماريا، تعلمين اني لا ديني. ولا اود ان اتدخل في مثل هذه المناقشات. علماً بان المهم في هذا العصر العلم وليس الدين. دعونا من كل هذا وهيا نشرب كؤوس الوسكي. فاليوم يوم المصالحة. ولا جدوى من المناقشات.

انهم يتفقون مع ابي في افكاره. ولذا فانهم يمكنهم التوافق والانسجام مع طبيعته. بعد مدة نزل ابي الى القاعة وقال لبيل بلهجة آمرة:

- بل تعلم اننا سنعقد الجزء الاخير من الاجتماع غداً. بلغ الخادم ان يستعد لذلك. هذه المرة سيحضر خمس وعشرون شخصاً مهماً.

يعني ان الاجتماع سينعقد غداً ايضاً ... غداً الاحد. وذلك يعني انه ليس بينهم مسيحي. وفي اجتماع اليوم لم يوجد بينهم اي يهودي. فمعظم المسيحيين لا يعملون في ايام الآحاد لانهم يذهبون الى الكنيسة، اما اليهود لا يعملون في ايام السبوت. وذلك يعني انهم جميعاً ملحدون.

في هذه الليلة حزنت حزناً شديداً. ودعوت لعيسى، ومريم، والام تيريزا. يجب ان يساعدونني انا وامي. والا فسيقضي هؤلاء علينا.

خطرت بعض الافكار ببالي. فنهضت من سريري ببطء وذهبت الى المطبخ... فمكثت افكر في امر قاعة الاجتماع. كان ينبغي علي الاستماع الى ما سيدور في اجتماع الغد. ولكن ماذا يجب علي ان افعل؟ ماذا لو اخبرت امي وتعاونت معها في هذا الامر، كان باستطاعتي ان ادخل القاعة قبل بداية الاجتماع واختبئ في مكان ما. وعلى اية حال فانا اجيد الفرنسية، والانجليزية، وبعض التركية. وبذلك يمكنني ان افهم معظم حديثهم.

فجأة سمعت وقع اقدام على السلم. شعرت بالخوف ... كان ابي قد وضع ميكروفون بداخلي لكي يستمع لافكاري. وكأنه نهض من سريره لهذا خصيصاً. من يعلم ماذا سيفعل بي؟ صوت وقع الاقدام كان يقترب من القاعة. كان هذا شيئاً مخيفاً. فقد كنت اخشى والدي. ولكني فجأة وجدت ان هذا الصوت كان صوت اقدام امي. كانت امي ايضاً لم تنم، اقتربت مني ببطء. وقالت هامسة:

- ماريا ألم تنامي انت ايضاً؟
- نعم يا امي لم استطع النوم.
- وانا ايضاً لم استطع النوم بسبب عقوق اخيك. يجب علينا ان نجد وسيلة. يجب ان نعلم ماذا سيحدث في اجتماعهم.

- وانا ايضاً افكر في نفس الشيء يا امي. هل يمكنك ان تخبئيني داخل القاعة غداً؟ وبذلك استمع الى كل ما يدور في اجتماعهم، ونعلم كل خططهم. هل تعلمين يا امي ان المشتركين في هذا الاجتماع منهم من هو من مصر، وانجلترا وحتى من امريكا.
- نعم ان شيئاً ما يحدث .... فابوك لا يخبرني عن مصدر مرتبه منذ سنوات. ان فكرة قتل ابيك تراودني احياناً. والليلة كدت اقتله بسلاحه. ولكني خشيت عقاب الطرد من الكنيسة.
- احذري يا امي ان تفعلي ذلك.

صمتت امي للحظة ثم قالت:

- لكن هو ... "قالت هذا وصمتت" هل كانت تريد ان تقول هو ليس اباك. ولكني لم اكن اريد سماع ذلك فغيرت كلامي.
- ستقولين ان ماريا ذهبت مع ماري الى السينما.
- انها فكرة رائعة. اتفقنا ...

دخلت في هذه الليلة الى فراشي ونمت نوماً عميقاً ومريحاً. فعلى كل حال سأعلم كل شئ غداً.

# اليوم الأحـد

حددت مع امي المكان الذي سأختبئ فيه، وخرجت من البيت في الساعة الحادية عشرة. وودعت ابي وبيل. كان ابي متفاهماً جداً. وكان لا يحظر علي اي شيء.

كان ينبغي علي ان ادخل القاعة من الآن استعداداً للاجتماع الذي سيعقد بعد الظهر. واثناء جلوسهم في صالون المنزل، كنت قد تسللت الى قاعة الاجتماع من الباب الخلفي.

كان قلبي يدق لدرجة كاد ينخلع فيها من مكانه. ساعرف كل شيء بعد ساعة او ساعتين.

اخيراً اقتربت اللحظة التي انتظرها. اختبأت تحت المنصة التي في مقدمة القاعة. الآن صوت وقع اقدام ابي فوقي تماماً. كان يجهز الميكروفون بمساعدة بيل.

– بيل انظر يا بني هل يصل صوت الميكروفون الى ذلك الركن من القاعة بوضوح؟

ذهب بيل الى الركن المقصود، وغالباً كان يشير الى ابي.

– بابا: واحد اثنين ... يجرب الميكروفون ... هل تسمعني بوضوح يل بيل؟ انتهى العمل. يا الله ... بحق عيسى ومريم، ماذا لو هدأت نبضات قلبي المتلاحقة ...! لو سمعوا صوتي لهلكت، كان بيل يلاحق ابي بالاسئلة قائلاً:

– لماذا قلت لماريا ان الحضور خمس وعشرون مع انهم مائة شخص؟

– لو تفوهت في اي مكان بان العدد كبير فان ذلك لن يكون لصالاحنا. يجب علينا العمل دائماً بمنتهى المهارة والسرية ... والا فلماذا اخرج الضيوف خمسة اشخاص خمسة اشخاص من الباب الخلفي؟!

– بابا، ان ماريا غاضبة جداً من هذه السرية. وبهذا الشكل ستتوتر علاقتنا بها. ماذا لو حكينا لها الامر هي ايضاً.

– انت محق ولكن هناك مسألة لم تفطن اليها. ماريا فتاة متعصبة دينياً. فانا استطعت ان انقذك من تاثير امك ولكني لم استطع انقاذ ماريا. فلو علمت ماريا بالامر ستحكي الامر لاحد المتعصبين دينياً. وبذلك سيتم احباط مخططاتنا. اصبر قليلاً. وفي يوم ما سوف تترك ماريا هذا التعصب ... وحينئذ سنكلفها بلا شك بمهمة ما والا فما فائدة تعليمي لها؟ لا تقلق فستعمل هي ايضاً لاجل العالم المدني المتحضر.

ان سماعي هذا الحوار كان مفيداً جداً بالنسبة لي. لذلك كان ابي يخفي عني بعض الامور. ترى ماذا يخفي عني ابي ايضاً؟ هكذا امتلأت القاعة في الوقت المحدد تماماً ... يمكنني رؤية القاعة من هذه الفرجة الصغيرة التي بين الاخشاب. عجباً لهذا الصمت! هناك اشخاص من انجلترا، فرنسا، امريكا، الجزائر، المانيا، مصر، وكوريا، ويالللعجب حتى من السعودية يوجد اشخاص في القاعة!! ومن سوريا، والعراق وتركيا.

ذكرت اسماء الدول وممثلوها واحداً واحد. عجباً لماذا اجتمعت الدول المتحضرة والمتعصبة في مكان واحد؟

افتتح ممثل فرنسا الاجتماع. ثم غادر المنصة وهو يصفقون له بشكل منتظم جداً. لم استوعب كل ما قاله، ولكن بعض كلماته نقشت في رأسي.

"أيها الاصدقاء! لقد قطعنا شوطاً كبيراً بحركة النهضة التي بدأت عندنا بالفعل سنة ١٧٨٩. واذا استمر عملنا المنظم هذا فان المجتمعات العربية والتركية سوف تصبح مجتمعاً واحداً .... بالنسبة لنا نحن قضينا تقريباً على دور الكنيسة بالنهضة الحقيقية التي بدأت مصاحبة ثورة سنة ١٧٨٩. وكان يمكننا ايضاً القضاء على الدين الاسلامي، ولكن الامر بالنسبة للدين الاسلامي مختلف فللقضاء عليه لا يكفي هدم او تهميش دور المسجد، ولكن ينبغي علينا لكي نقضي عليه ان نقضي على كتابه المسمى بالقرآن. وفي هذا الخصوص هناك تطورات مهمة في كل من الجزائر، مصر، سوريا، وتركيا.

مصطفى كمال رئيس جمهورية ذكي. وفي المستقبل القريب جداً سيصل بتركيا الى مستوى الدول الاوروبية. وفي نفس الخصوص هناك تطور ملموس في باكستان. معظم رؤساء الدول، أو رؤساء وزرائها اصدقاؤنا. وسترون، في خلال عشرين او ثلاثين عاماً ستلغى الحدود وسنصبح جميعاً دولة واحدة.

الآن بدأت أفهم الموضوع شيئاً فشيئاً. الحقيقة ان ما يقولونه لا يضر. ما عدا عداؤهم للكنيسة، فذلك يفسد الامر.

اخيراً صعد ابي الى المنصة وبعد ان تنفس بعمق بدأ حديثه قائلاً:

– ايها الاصدقاء ان ما نعمله من اجل العالم المتحضر عمل لا يستهان به. فنحن نفتخر بانه قد اصبح من بين المتعلمين والاداريين عدد متزايد ممن يمكنهم القول "انا ملحد. واشجع حرية الرأي" واظن ان هذا الامر موجود بشكل متزايد في بلادكم.

الصديق الجزائري، ماذا عن الجزائر بهذا الخصوص؟ هلا لخصت لنا الموقف في عدة جمل.

كنت اسمع الجزائري الذي كان يتحدث الانجليزية بصوت مخنوق كنت اسمعه بصعوبة، ولكن مع ذلك كان كلامه مفهوماً.

– "الموقف عندنا ليس مختلفاً. تعلمون ان الفرنسيين يعملون بالتدريج لانقاذ بلدنا. وشعبنا وخصوصاً الشباب منهم معجب جداً بالفرنسيين. فاذا لم يتحول هذا الاعجاب الى الاشمئزاز فان الجزائر ستصبح جزءاً من الثقافة الفرنسية في وقت قصير جداً. ولكن هناك خطر المتعصبين الدينيين. فبعضهم يقول: "هؤلاء الفرنسيون ليسوا اصدقاءنا، يجب علينا ان نفتح عيوننا. ويعلمون الناس ان غير المسلمين لن يكونوا ابداً انصاراً للمسلمين". ولكن تلقين هؤلاء غير مؤثر بما فيه الكفاية. وعلى اية حال فنحن قد نجحنا في تنفير الشباب من هؤلاء الاصوليين.

وفي المستقبل لن يبقى في الجزائر ما يسمى بالثقافة العربية، ما دمنا قد استطعنا اسكات صوت هؤلاء المتدينين".

امتلأت القاعة بالتصفيق مرة اخرى. ذلك العربي. كان يبيع وطنه ما اصح ما يقوله هذا الكتاب المسمى بالقرآن. بأن غير المسلم لا يمكن ان يكون نصيراً للمسلم.

ترى من الذي كتب هذا الكتاب؟ فما اصدق تحليله للامور. هذه المرة سأل ابي المصري الذي يحضر الاجتماع:

- كيف الحال عندكم؟

عندنا لا يستطيع احد القول "أنا لا ديني". ولكن الناس بعيدون جداً عن حقيقة الدين، وإن لم يذكروا ذلك ولكنهم بعيدون عن روح الديم.

جاء الدور على تركيا.

"لا يوجد عندنا ضغط انجليزي "باردون" اقصد مساعدة انجليزية ولكن شعبنا معجب بالغرب بشكل مدهش. انظروا الى هذه الصحيفة فتيات شبه عاريات يشتركن في المسابقة. تفضلوا هذه جريدة مليت قامت بوضع صورة لامرأة مكشوفة العنق والذراعين بين أحرف القرآن أليس هذا شيئاً مبشراً. لقد اصدر رئيسنا اطاتورك أمراً حازماً يقول فيه "اسحقوا الشريعة أينما تجدونها" والناس يظنون أن الشريعة شيء والدين شيء آخر، ويبذلون قصارى جهدهم للقضاء على الشريعة.

إن اطاتورك رجل ذكي. كتابنا ايضاً عصريون، ويبذلون قصارى جهدهم لتغريب تركيا.

امتلأت القاعة بالتصفيق. لقد صفقوا للكتاب الاتراك الذين يعملون كل ما في وسعهم لتغريب تركيا. بدأ أبي حديثه مرة اخرى قائلاً:

– حقيقة أننا نجحنا في تحقيق اعمال كبيرة في تركيا، ولكن علينا مهمة اخرى. ينبغي ان يمنح مصطفى كمال جوائز كبيرة من الانجليز، فهذه مشاركة وجدانية يجب على الانجليز القيام بها.

ولابد ان يصل الشعب الى درجة الغليان. وهذا كله موجود داخل برامجنا. أود ان اقرا عليكم تقريرنا اليومي. وسنعمل في سياق هذا التقرير لهدم كل الاديان، وخصوصاً الدين الاسلامي فبدون هدم الاديان لن نحقق شيئاً من النجاح.

استمرت الاحاديث لساعات. نعم لقد فهمت الآن ... انهم يعملون للقضاء على الاديان ... وبالطبع القضاء على الدين الاسلامي كالأديان الاخرى .... ولكن ترى ماذا يريدون من ديننا؟ وما هو الضرر الذي تسببه الكنيسة لهم أو لغيرهم، يالهم من جاحدين وحكى لهم أبي كيف أن الانجليز، والفرنسيين، والاتراك، والعرب وغيرهم من الاجناس قد عملوا على مدار قرن كامل من انصارهم العصريين لتهيئة الحكام لهذا الغرض. كلهم كانوا يستمعون لأبي باحترام وتقدير. فهمت الآن أن أبي رجل مهم.

لعلهم أحد كبار أو مساعدي الـ C.I.A (المخابرات المركزية الامريكية) ويستمر أبي في حديثه قائلاً:

– يلزم علينا الاهتمام بالشباب خصوصاً الأذكياء منهم. فعندما تلمحوا الذكاء في طفل اهتموا به فوراً. إن كان فقيراً أعطوه منحة. وإن كان غنياً فلنمنحه مكافأة تفوق. ولكن لا تنسوا أنه لكي نستطيع الاستحواذ على الطلاب المجتهدين والمتفوقين لابد وان نستحوذ على مدارسهم وعلى ادارات هذه المدارس. لذا فافضل الوسائل هي تأسيس جمعيات متعددة. ومنح كل اداري من الاداريين جائزة. فمنح الهدايا هو الاسلوب الامثل للسيطرة على ضعاف الشخصية، فاذا نظمتم احتفالاً وصفقتم لهم فإن هذا الشخص سيصبح من اهم المؤيدين لنا في بلده. وسيهتم جداً بجذب اهتمام الجمعية التي منحته الجائزة. وهكذا يمكن ان يتقدم العمل بتوجيه هذا الشخص. وبعد منح هذه الجوائز سيمكننا الاستحواذ على المدرسة وطلابها واداريها. اما عن فكرهم وعقولهم فبالطبع سيعملونها كيفما نريد نحن، ومهمتكم انتم هي زيادة الجوائز.

أوه، يالك من ذكي يا أبي. منح الجوائز آه ... نعم لقد زادت الاحتفالات التي تمنح فيها الجوائز بالمانيا في السنوات الأخيرة.

– موضوع آخر في غاية الاهمية.. الاصدقاء الاوروبيون، عليكم بدعوة المسئولين في بلادكم بشكل مستمر. وعليكم تحديد من ينبغي ان توجه اليهم الدعوة. لعله يكون استاذ جامعي، كاتب، طبيب، أياً كان ... لو كان متقارباًمنا فكرياً نجعل أياً من

ميزاته ذريعة لان توجه اليه الدعوة لزيارة اوروبا. وهنا سيرى الحضارة ثم يعود ويحكي ما رأى في المدرسة أو المستشفى التي يعمل بها....

ثم نقوم بتحذيرهم من الاديان بقدر الامكان. ونجعلهم يصدقون أنه لا حاجة للاديان في القرن العشرين. فلو اننا دعونا عشرين شخصاً من كل بلد، فان هذا يكفي كبداية. ثم نمنح كلاً من المدعوين جائزة تفوق.

وهكذا ينتهي كل شيء. أو نمنح بعضهم الدكتوراه الفخرية أو ميدالية وبذلك يكون كل شيء على ما يرام، ويكون القط قد وقع في المصيدة.

يالها من خطة جهنمية! يا إلهي! ترى ما هذا الصمت! استطيع رؤية المقعد الاخير الذي يقع يمين المكان الذي اختبئ فيه. كلهم ينظرون الى ذاك المكان. صوت ابي من جديد.

– انتم ماذا فعلتم بهذا الخصوصي، هلا اعطيتمونا عدة نماذج؟

– بالطبع ... الثورات لا تحدث بالكتابة والكلام فقط. ينبغي علينا ان نستخرج نماذج من داخل الشعوب. فعلى سبيل المثال، اعطيتم جائزة الشجاعة عن طريق جمعية الاعلام للراهبة التي كشفت عن صدرها لاحد الصحفيين العام الماضي. واشادت بها الصحف واسمتها الراهبة الشجاعة. بذلك تكونوا قد شجعتم آلاف الفتيات، ونحن نسير على نفس الدرب واعطينا الفنانة التي مثلت في فيلم حقوق المرأة جائزة لانها تعرت تماماً. بالطبع لم نمنحها جائزة فقط من جمعية الفنانينوانما بالاضافة الى ذلك

اطلقنا عليها شعارات كـ"شجاعة" "برافو"،"لا تخشى من تعرية جسدها". بهذه الواقعة شجعنا آلاف الممثلات على ان يتعرين ويكشفن عن اجسادهن، طمعاً في مثل هذه الجوائز. كما قمنا بتكريم كاتب قصة "الحب مع البابا" ووجدنا وسيلة لكي لا يغضب القساوسة، قلنا "ان القساوسة المتحضرين استقبلوا قصة "الحب مع البابا" بمنتهى المدنية والتفهم.

– وهكذا فان هذه العبارة كانت كافية لاسكات القساوسة، فاي قس يمكنه المعارضة؟! بالطبع لا احد. لانه لو اراد المعارضة سيخشى من اطلاق لقب متعصب عليه ... ويمكن اتباع نفس الاسلوب السيكولوجي مع رجال الدين الاسلامي. أولاً وقبل كل شيء فاننا اذا رسخنا مفهومين في بلد ما فإننا سنرى علامات النصر بادية. هذان المفهومان هما:

رجل الدين المستنير، ورجل الدين المتعصب. فإن كل رجال الدين سيعملون بلا شك على ان يظهروا بشكل واحد. وسيبذلون قصارى جهدهم في هذا المضمار. ويمكن زيادة الامثلة في كل ميدان من الميادين. ومن اكثر النماذج قوة بلا شك هو نموذج الاشارة بالام التي تلد ابناً مجهول الاب. فعندما تجعلون الشعوب تتقبل مثل هذا الامر فسيعد ذلك نصراً كبيراً لنا جميعاً .... الشرقي والغربي .... سترتفع الحدود، وسنكون جميعاً وحدة واحدة. لذا يلزم علينا ان نقوي الثورات، ونعود الشعوب على ما نريد شيئاً فشيئاً.

ملخص الامر ايها الاصدقاء.... انه ينبغي ان يتم القضاء على جميع الاديانم التي على وجه الارض ... وسيكون مفهوم الصداقة والاخوة الموجود في الغرب هو المتحكم على وجه الارض.

المادة الخامسة هي ايضاً في غاية الاهمية:

لن نعطي دول العالم الثالث الفرصة لاقامة صناعات ثقيلة وسنجعلهم يعتمدون في صناعاتهم على التجميع فقط. انظروا أمريكا قد استولت تماماً على المصنع الذي تم التخطيط لتأسيسه ليقوم بصناعة الطائرات في تركيا، وما قامت به امريكا لا يتعارض مع مصالحنا.

يجب على الشعب ان يؤمن بما يلي "ان دولتنا متخلفة. وسبب تخلفنا الدين. ونحن لا نستطيع اقامة صناعات ثقيلة كالطائرات والسيارات ابداً". يجب عليهم ان يؤمنوا بذلك ويرددوه. كما يجب عليهم ان يعملوا لانتاج المواد الاستهلاكية. لمعلوماتكم فالمئات من منتجي القطن يعملون لسنوات ومع ذلك لا يمكنهم شراء الا طائرة واحدة. لابد من استنزاف طاقات الشعب. وبذلك ستزداد الدول المتقدمة تقدماً، وسيزداد الاعجاب بدول الغرب والعصرية والتقدمية. أما نحن فيجب وبدون اي تأخير ان نلصق سبب تأخرهم بالاسلام. وهكذا يكون كل شيء اصبح على ما يرام.

ان مجهوداتنا التي نبذلها لتعرية النساء اعطت نتائج جيدة ولا تنسوا ان المرأة التي نجحتم في جعلها تكشف راسها باسم المدنية والحضارة ستجعلونها في يوم ما تخلع

ملابسها الداخلي، ايضاً.... كل شيء منوط بمجهوداتنا. ارجو الا يستغرب الضيوف الكرام فعلى كل حال بلادنا هي بلادكم وبلادكم هي بلادنا ....

"كلمات مثل تلك لا تنتهي. بدأت اشعر بضيق شديد من مثل هذا الكلام. ان خطط ابي لا تنتهي".

لقد اعد ابي وتم تأهيله تماماً من قبل الذين يستخدمونه.اوقفوا الاجتماع لفترة استراحة ولتناول الطعام والشراب اما انا فمعدتي كانت تصرخ من شدة الجوع.

أوه، اخيراً انتهى الاجتماع.

هذا الاجتماع سينعقد في انجلترا العام المقبل، ثم في الجزائر، وبعد عشر سنوات في تركيا ... وسياتي يوم لن يكون انعقاده سراً وسيعلنون آراءهم على الملأ.

حتى الآن مازلت موجودة تحت المنصة. القاعة خالية تماماً لكني لا أجرؤ على الخروج...

آه لقد جاءت أمي أخيراً.

– ماريا اخرجي ... لقد صعد ابوك الى الطابق العلوي ... انه مرهق جداً ويشرب قهوته.

خرجنا بسرعة من القاعة. وذهبنا الى الصالون. كان هانز وبيل قد خرجا للترويح. سالتني امي وهي مضطربة ويتصبب منها العرق.

– ماريا ماذا حدث؟ احك لي.

- اولاً آكل بعض الطعام ...فلا يمكن ان تتصوري مدى جوعي.

تمددت على الاريكة واثناء انتظاري للطعام والذي ستحضره امي كنت استرجع ما سمعته والخصه في ذهني.

سيتم القضاء على الدين، وستمنح جوائز بشكل مكثف، وسيتم الاشادة بمن يظهرن عاريات. كما سيتم استقطاب رجال الدين ... راسي ستنفجر. اما امي فانها لا تتركني وتلاحقني بالاسئلة اثناء تناولي للطعام ، وتقول:

- هيا احك لي ما هي اسرار ابيك؟

- لا تسألي يا اماه إن ابي جاسوس بمعنى الكلمة. ولكني لم استطع معرفة لصالح من يعمل ابي. الشيء الوحيد الذي استطعت ان افهمه ان هناك قوى تريد ان تحكم العالم وهذه القوى هي التي توجه والدي. انه من اشد اعداء الدين .... انه يقول "اذا تم القضاء على الدين في اوروبا فان العالم الاسلامي سيتبعنا في ذلك".

مالي انا والاسلام؛ هل سافكر فيه هو الآخر. انا حزنت جداً لاجل ديننا، اصابني الغم يا امي. لو لم يكن عندي درس غداً لذهبت الى القس لاتوب من ذنوبي.

ما هذه المهزلة يا امي بحق عيسى ومريم. فعندما اصبح انا ايضاً ملحدة سيكلفني ابي بمهمة. فهل اقبل المهمة التي سيكلفني بها؟

- مرحى يا ابنتي، قدستك الراهبة تيريزا.

انظري يا امي، ماذا خطر ببالي فجأة. هل انت معي في ان نخدع ابي ونعمل لصالح الكنيسة؟ اقول لابي "انا ايضاً اصبحت ملحدة، وساعمل من اجل عالم عصري" واقنعه بهذا الكلام. وبطبيعة الحال، فهم لن يكشفوا لنا اسرارهم دفعة واحدة، ولكنهم اولاً سيعطون لنا خططهم السطحية.

- انت روحي وحبيبتي يا ماريا !!! انني فخورة بك. ستصيرين مبشرة عظيمة. وستكافئك الكنيسة. هل انت واثقة من نجاحك فيمهمة الجاسوسية هذه؟

- بالطبع يا امي، لا تقلقي ابداً. وسترين اني ساقنع ابي.

قررنا ان اخبر ابي باني ابتعدت عن الدين، وبذلك ساكسب قلبه لصالحي.

بعد مرور اسبوع. انتهى انشغال ابي الذي استمر لعدة شهور.

اما نحن فقد تحدثنا في الموضوع مع القس في الكنيسة ... وسعد القس لذلك جداً. وأنا ايضاً كنت اذهب الى الكلية كل يوم ... وكنت اتجول مع هانز ... وقابلنا ابي في الحديقة.

- اهلا ماريا.

- اهلا يا ابي.

- وفجأة وبدون مقدمات انتقل ابي الى موضوع آخر:

اتعلمين يا ماريا انك مدينة للالحاد، باستطاعتك الخروج والتنزه مع هانز ... اقصد انك مدينة لوجهة النظر القائلة بالنظام العصري...

- ابي من اين جئت بهذه الموضوع فجأة؟

- تعالي نجلس في هذا المنتزه قليلاً ونتكلم. دعك من آرائك المتعصبة هذه واسمعيني.

جلسنا في المنتزه القريب من الكنيسة في "كولن".

- انظري يا بنيتي ... ساحكي لك كيف انه لا حرية في اطار الدين، ان ما يدعى بالانجيل العصري في المسيحية والذي وجد منذ ثلاثة قرون لا يقبل العلاقة العاطفية والغزل بين شاب وفتاة وبالاضافة الى ذلك فهو لا يرى ان تجوله معها امر طبيعي؛ بل انه كان ايضاً يشتمل على عقاب مخيف لمن يفعل ذلك. حتى انه لا يحق للمرأة في العقيدة الكاثوليكية ان تطلق من زوجها، وان عذبت، ولاقت منه شتى صنوف الآلام، كما لا يحق لها ان تتزوج بآخر. فالدين يشتمل على انواع من الضغط، فلو انك عرفتي مفهوم الدين المسيحي عن الشرف فبالتأكيد سترينه متعصب جداً. اما وجهة النظر اللادينية، اقصد وجهة النظر العصرية، فقد هدمت كل هذه الخزعبلات التي يشتمل عليها الدين.

فاذا كنت سعيدة بالمغازلة مع هانز. وانا لا اعترض على ذلك ولا اغضب منه، فانك بالتأكيد مدينة بهذه السعادة الى وجهة النظر اللادينية، اي وجهة النظر الملحدة، او لنقل العصرية الحديثة، والتقدمية. وسنحقق ذلك في جميع انحاء العالم.

حتى ان الفتيات اللائي يرتدين الخمار في العالم الاسلامي البربري سيصبحون مثلك تماماً. وسنوصلهم الى درجة يهزأون معها من الدين الذي لا يسمح بالمداعبة والغزل الجنسي. سواء كان هذا الدين هو الاسلام او غيره.

خطر ببالي ان العب دوراً ماكراً فقطعت كلام ابي في الحال.

– ابي العزيز، ان كل يوم يمر يشعرني بانك على حق. على اية حال احس انني ايضاً ساصبح ملحدة، وسانجح في الفوز بقلبك. وكذلك اشترك في هذه الاجتماعات التي تعقدونها. بصراحة انا اغار من بيل.

الا تلاحظ ان هانز اقرب اليك مني.

– مرحى يا ابنتي الذكية ... كنت اؤمن بانك سترين الحقيقة يوماً ما.

هكذا اكون قد وضعت حجر الاساس لي في قلب ابي. وفي المساء ذهبت الى المنزل وحكيت ذلك لامي بسعادة.

– نحقق نجاحاً يا امي، نتقدم. ابي صدق ما قلته له. لا يوجد شيء لن افعله من اجل المسيحية. سوف استمتع بخداع ابي دون ان تطرف لي عين.

– مهما افتخر بك يا بنيتي فهذا قليل عليك. قدستك الراهبة تيريزا.

وسيعرف ابوك كل شيء عندما يدخل جهنم ويذوق عذابها.

كانت الايام تمر وانا متفقة مع امي على كل شيء و"بيل" سعيد جداً بحياته. فقد اصبح على قناعة تامة بان اخته الكبرى تزداد الحاداً بمرور الوقت كان يقول لي دائماً "مرحباً بك في دنيا الحرية يا ماريا".

وفي احد الايام حضر هانز في غير ميعاده. كان مضطرباً، وفجأة ناداني الى باب المنزل وقال:

– ماريا ينبغي علي ان اذهب الى امريكا، وانا حزين لذلك جداً.

– امريكا! من اين لنا بموضوع امريكا هذا الآن؟

– لا تحزني لسفري، واستمتعي بوقتك مع اي شاب الة ان اعود.

يمكنك ان تخونيني بجسدك ولكن لو خنتني بقلبك فلن اسامحك. واغضب منك جداً.

– ماذا يعني هذا، اتسمح لي ان اعمل علاقة مع شاب آخر في غيابك.

– ها ها ها !!! ولم لا يا ماريا؟ وانا ايضاً ساتعرف على فتاة بالطبع.

– ماذا تعني، فتاة غيري؟

– لا تحزني يا عزيزتي لعلها لا تكون فتاة، يحتمل ان تكون علاقة مع شاب مثلي. فالمتدينون في امريكا كثيرون، وكذلك الشواذ.

– هانز، انك تشعرني بالغثيان. اغرب عن وجهي ولا تريني وجهك مرة اخرى.

– اراك تريدين اظهار نفسك في صورة تمثال الشرف. فماذا لو اقمت علاقة مع احد هؤلاء الاتراك؟! ان هذا التركي الذي يعمل في متجرنا يتقرب مني دائماً لاجلك. لو اردت يمكنك ان تقضي وقتك مع هذا الولد لحين عودتي.

هكذا كنت ارى صورة مجسمة قبيحة ومرة للالحاد. ان هذا الهانز لو كان متديناً اياً كان دينه لما وصل الى هذه الدرجة ... صرخت باعلى صوتي.

– اغرب! ... اغرب عن وجهي ايها الخنزير انني افضل ان ارى ثعباناً خير من ان اراك.

بعد ذهاب هانز، خرجت الى الحديقة الموجودة أمام الفيللا. كنت قد شعرت بالصدمة، وغضبت جداً من نفسي.

الالحاد ... الالحاد هو الذي فعل كل هذا بهانز ... ملعون ذلك الالحاد.

بعد ان بكيت لمدة عدت الى حالتي الطبيعية. ايعني ذلك انني لن اكون مع من احب. انه يراني كقطعة الاثاث. عليك اللعنة يا هانز. مرت على هذه الليلة وانا في غاية التعب والارهاق. وفي اليوم التالي لم اتناول فطوري كي لا اتاخر على ميعاد الكلية ... ساتناول بعض الطعام في مقصف الكلية.

كان الجو بارداً جداً. ادرت محرك سيارتي بصعوبة وخرجت الى الطريق. وكنت افكر طول الوقت فيما قاله عبد الوهاب وما قاله ابي.

ايهما هو الحقيقة. ان ما وصلنا اليه الآن تم بنهب واستغلال المسلمين؟

هل فجأة اكتسب الدين المسيحي اتباعاً وارتفع شأنه؟!

أووف، الموت لهؤلاء المسلمين!!! الم نخرج من قبل للقضاء عليهم نهائياً. اردنا القضاء عليهم ثلاث مرات ولكن ذلك لم يحدث. ولم تحدث الحروب الصليبية الأثر المطلوب.

مع انني افكر بهذا الشكل الا انه يوجد شيء بداخلي يشعرني بعدم الارتياح. لماذا نعمل على استغلالهم، وهم لا يحاولون ذلك؟

وصلت الى المحطة التي كنت قد رأيت عبد الوهاب عندها. وعند وصولي كنت في حالة من التفكير المتناقض.

هذه المرة كان عبد الوهاب ينتظر الحافلة بصحبة شاب آخر .... اقتربت منهما وقلت:

- تفضلا ... تفضلا اوصلكما حيث شئتما.

قال عبد الوهاب وكأنه يتدلل:

- شكراً يا ماريا ... ستصل الحافلة بعد قليل.

- تعال، تعال لن آكلك... وليأت صديقك ايضاً.

اخذت الشابين الى السيارة عنوة. القى الشاب الآخر علي السلام ثم قال:

- آه!! أأنت ماريا ... مرحباً بك! فجأة استدرت للخلف ولما رأيت وجه المتحدث عرفته ...

– أوه! أو أنت، ماذا كان اسمك؟ محمد أليس كذلك؟ اظنك تركي ولكن لغتك الانجليزية جيدة جداً.

– ان ذاكرتك قوية جداً ... لكنك لم تبحثي عنا مرة اخرى...

تعجبت جداً لاهتمام محمد بي، وانتظاره ان ابحث عنه، ولاحظت ان هناك احساساً بداخلي لا استطيع السيطرة عليه يقربني من محمد.

غير عبد الوهاب الموضوع وسألني: أين تسكنين يا ماريا؟

– اسكن في بورز ... انتم تسكنون في طرف المدينة ونحن في طرفها الآخر. ولكننا ندرس في جامعة واحدة.

طلب محمد مني ميعاداً كي نتقابل. فاعطيته. والتقينا في عطلة نهاية الاسبوع. واثناء اللقاء صارحني باعجابه الشديد بي، ولكنه اضاف قائلاً:

– انت فتاة كاثوليكية.وانا لايمكنني ان اتزوج كاثوليكية متدينة.

ولا اريد التلاعب بعواطفك. افضل شيء الا نلتقي مرة اخرى حتى ان لقاءنا هذا كان خطأ من البداية.

– ارجو ان نظل اصدقاء يا محمد. ام انك متعصب كعبد الوهاب.

– عبد الوهاب صديق جيد الا انه لا يعرفني على حقيقتي. او بشكل اوضح، لم تسنح الفرصة للحوار بيننا.

– احك لي عن نفسك قليلاً يا محمد، عن وطنك، اسرتك، هواياتك، احلامك وآرائك.

– وطني يبنى من جديد. سيصبح وطناً مختلفاً تماماً. في المستقبل كل شيء سيختلف تماماً، احترام حقوق الانسان، العدالة، المساواة، الالتزام. وانا اعمل كي اصبح حجراً في بناء بلدي الجديدة. ولو انك جئت ورأيت تركيا ستتعجبين، وستقولين هذا خيال وحلم. عندما كان محمد يحكي لي عن بلده تمنيت لو اراها. كان يحكي عن نظام وعالم مختلف تماماً. ولكن عقلي وفكري كان مع محمد. هل له حبيبة ام ال؟

كنا نخرج كل يوم معاً للتنزه. تعودت عليه تماماً. كنت لا استطيع الصبر على عدم رؤيته. لكني لم استطع فهم تفكيره تماماً... وكان ذلك يحزنني جداً. اعلم ان محمداً كان معجباً بي. ولكن كانت هناك مشكلة بيننا وهي الدين.

اما ان يصبح هو كاثوليكياً واما ان اصبح انا مسلمة. لم اعد احتمل وصارحت امي بالامر. وصدمت امي.

– ماذا تقولين اتريدين ان تكوني مسلمة.

– ماذا تقولين يا امي؟! انا اكون مسلمة؟ ساجعله يتحول الى المسيحية ولكن كيف افعل ذلك لا ادري.

لا تترددي يا ابنتي. فانا لا ادري سعادة اكثر من جعل احد المسلمين مسيحياً. هل توجد سعادة اكثر من ذلك على وجه الارض؟ فنحن نستطيع العمل مع اليهود والبوذيين ونتخذ قراراً مشتركاً.

اما المسلمون فهم كالخنازير!! انني اشمئز منهم هيا يا ابنتي لنرى. ادخلي محمداً المسيحية. فالنصر لنا.

– لا تقلقي يا امي. ساجعله مسيحياً بالتاكيد، وبل سنعقد قراننا في الكنيسة.

كانت كل احلامي عن محمد تدور حول الزواج. مرت ثلاثة شهور. لا تمر لحظة واحدة في حياتي بدون محمد. كان يقول لي:

– ساسعدك يا ماريا. سآخذك معي الى بلدي، الى عالم احلامي وساريك اننا نؤسس دنيا جديدة تماماً.

كان هذا يعتبر طلباً للزواج مني. كنت مقتنعة تماماً بأن محمداً لا يستطيع العيش بدوني؛ كان يحبني، بل يعشقني. كان يقول لي اذا لم اتزوجك فلن استطيع العيش وافضل الموت على ذلك. لكن توجد بيننا موانع، هذه الموانع لا تريد لنا اللقاء".

هاأنذا معه اليوم ايضاً نتجول. حتى انني لم اذهب الى الكنيسة. يا الهي يالي من فتاة عاصية. بدأت في تقديم التنازلات من اول يوم. لا ينبغي ان اعطي لمحمد مثل هذه التنازلات. فجأة سألت عن الساعة وقلت لمحمد في اضطراب:

– يجب علي ان اذهب الى الكنيسة لالحق القداس ... هل تأت انت ايضاً؟ انتظرني في السيارة.

– بالطبع انتظرك يا ماريتي. يكفي ان تريدي انت ذلك. لو شئت ادخل معك الكنيسة واشاهد القداس لفعلت.

كنت ساطير من الفرحة. اريد ان اصرخ من شدة السعادة، ولكني تمالكت نفسي. يجب علي ان اكون هادئة. كان ينبغي علي ان اظهر وكأني لا اهتم بمسألة حضوره الى الكنيسة هذه.

– بالطبع اكون سعيدة بذلك. سيحدث تغيير مهم بداخلك. ذهبنا معاً الى الكنيسة. كنت لا استمع الى الترانيم ... كان عقلي وفكري مع محمد. كان محمد يستحوذ على كل دنياي. كنت لا استطيع التفكير في شخص سواه. كنت اتصرف كالمسلمين في كثير من الامور مع اني مسيحية ولما عدت الى البيت حكيت لامي كل ما حدث، ففرحت امي جداً وقالت:

– لاول مرة اراك تحبين بحق .. آمل ان تصلي الى ما تتمنين.

– هل احببت انت ايضاً يا امي؟

– انا، نعم احببت، ولكنه فضل علي فتاة اخرى. تعلمين اننا كنا نستطيع ان نحب كيفما نشاء، لاننا نغير الرجال بشكل مستمر. وكذلك يفعل الرجال ... ولكن الآن تغير الزمن. أولاً يبدأ بالغزل ثم المعاشرة الجنسية ثم الحب.

– ولكني لا استطيع ان احب بعد ذلك يا امي.

– لكنك تعذبين نفسك يا ابنتي، فهو لا يستحق ذلك. المسلمون لا يستحقون ذلك.

– لكنهم لا يسمحون لمن يحبونها باقامة علاقة مع شخص آخر، انظري ماذا فعل هانز. قال لي "ابحثي عن شخص تقضين معه وقتاً سعيداً" ولكن المسلم لا يمكن ان يفعل نفس الشيء.

– ان المسلمين الذين تتحدثين عنهم يا ابنتي لا يوجدون الا في هذا الكتاب المسمى بالقرآن. اما الدول الاسلامية فمليئة بالرجال الذين يتركون نساءهم في احضان رجال آخرين ليراقصونهم.

– لكننا نحن الذين علمناهم هذا الرقص واوصلناه اليهم.

هذا لا يهم. المهم ان يتغلغل في صدورهم ما اوصلناه اليهم. انظري كيف اننا جعلنا هؤلاء الخنازير يقلدوننا. ولكن الشيء الوحيد الذي يحزنني هو ان ديننا اصبح في حالة مزرية ليتنا اعطيناهم كل حضارتنا وبقى ديننا دون ان يفسد. نعم نحن افسدناهم ولكننا فسدنا نحن ايضاً. فليحفظنا عيسى. فما اسوأ الطريق الذي نسير فيه.

– امي دعينا من الماضي وقولي لي كيف يمكنني التاثير على محمد كي اجعله مسيحياً.

– يجب عليك في هذا الخصوص ان تستعيني بالقس.

– سلمت يا اماه. احسنت التفكير.

في هذه الليلة لم اذق طعم النوم وبحثت عن الوسائل التي يمكنني بها ان اجعل محمداً مسيحياً. كان محمد في تفكيري وعقلي ليلاً ونهاراً. كنت اتخيل حياتي بددون محمد.

مرت شهور ... كلما جاء محمد الى بيتنا كنت اطعمه لحم الخنزير وادعي انه لحم البقر. كنت اشعر بالسعادة وانا افعل ذلك لانني كنت اشعر كانه من ديانتي.
كانت بعض التنازلات التي يقدمها محمد من اسلامه تفرحني، كنت اراه ينتهك بعض اوامر الاسلام. كان هذا يشجعني وبعد خمسة عشر يوماً ذهب محمد الى تركيا. كنت سعيدة جداً لانه سيذكرني لامه. كان سيرسل الي باستمرار ليطمئن علي. ثم يدعوني لبلده التي يحلم بها في خياله. حكيت الموضوع لوالدي. انتصف الليل وانا مازلت احكي.

– آه أيعني أن محمداً قد سافر. لا تحزني يا بنيتي، ستجدين اكثر من محمد.

– لكن ... أبي، انا لا اريد احداً غيره. اريد ان اجعله ... ولكني تذكرت فجأة وقبل ان اكمل كلامي. اني العب على والدي دور اللادينية. فغيرت حديثي وقلت.

– اريد ان اجعله ديمقراطياً علمانياً .... يؤمن بالطبع بأي دين.

– انا سعيد بخروجك مع احد الاتراك. فانا قررت ان اجعلك ممثلة لنا في تركيا. سنرسلك الى هناك بدلاً من احد موظفينا، لتعملي على تقوية موقف الثوار في تركيا.

– ايعني هذا انني سأقيم في تركيا؟

– ليس بشكل مستمر بالطبع، ستة شهور هناك وستة شهور هنا. فانا كنت اخطط لارسالك الى تركيا كصحفية، انت جميلة وجذابة، واذا تمكنت من استمالة مصطفى كمال فسيكون كل شيء قد انتهى.

– ولكني لا استطيع ان اخون محمداً يا ابي لا يمكنني ان افعل ذلك.

– لابد وان تضحي باحدهم من اجل دعواك ومعتقداتك، على فكرة يا ماريا، ما اخبار علاقتك بالكنيسة.

– اشعر بالبرودة تجاه الكنيسة. بيني وبينك يا ابي انا اذهب الى الكنيسة فقط لكي لا تحزن امي، ولكني ارى ان كل شعائرها نوع من الهراء.

– مرحى يا ابنتي... فالانسان العاقل لا يحتاج الى الدين في شيء. ثم انك لا تحتاجين لهذا الاله. فلم تتحملين كل هذه الصعوبات لاجله.

شعرت ببرودة شديدة وتجمدت في مكاني ماذا يعني قوله "انك غير محتاجة الى الله" ايعني هذا ان الهواء الذي اتنفسه، الماء الذي اشربه، الارض التي اطؤها، الشمس، وكل ما آكله من طعام، اليس كل هذا من الله وخلق الله. ماذا يحدث لو منع الله الاكسجين الذي يمنحه لنا؟ ماذا يعني "ان الانسان العاقل لا حاجة به للدين" اعلم الله اكبر ام علم الانسان؟ شعرت اني تجمدت وبدأ جسدي يقشعر لما قاله والدي. لكن كان ينبغي على الا اعارضه. وذلك ضروري لكي ادخل في جمعيتهم كعضو، كان اخي بيل يضحك بمنتهى الوقاحة قائلاً...

– الم اقل لك يا ماريا "لن تستطيعي ان تكوني رجعية بقدر ما انت متدينة." وفي اليوم التالي حكيت لامي كل شيء.

– كنت اتمنى ان ترى ابي واخي بيل عندما قلت لهم اني لا اذهب الى الكنيسة ولكن احذرا ان تخبرا امي بذلك. اتمنى لو كنت رايتهم يا امي وهما يطيران من الفرح والسعادة.

– انهم خونة خنازير ... يظنون ابنتي ملحدة مثلهم.

كانت الايام تمر هكذا، كنت العب دور الجاسوس بين ابي وامي ... تعبت جداً من الانتظار، كل يوم انتظر خطاباً من محمد، لماذا لا يكتب الي لماذا، لماذا؟ ولكنه سيعود بعد خمسة عشر يوماً على اية حال.

وفجأة جاءتني فكرة لاخراج محمد من الاسلام ....

سابحث عن اكثر احكام الاسلام منافاة للمنطق. وبعداً عن العقل واسأل عنها محمد. وعندما لا يستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة فمن الطبيعي ان يبتعد عن الاسلام بالتدريج.

لقد شعرت بالفخر والسعادة لهذه الفكرة، ونمت ملئ جفوني في تلك الليلة. وفي اليوم التالي كان اول شيء افعله ان ذهبت الى اكنيسة. لقد كان راهب كنيسة الام في مدينة بروز رجلاً محترماً جداً. فحكيت له عما يدور في ذهني من افكار.

فاخذني الى غرفة القس ... وقال لي وهو يشير الى "تفضلي اجلسي على هذا المقعد".

– نعم يا بنيتي. ماذا كنت تقولين؟

– ايها الاب المقدس انا احب احد الشباب ولكن هذا الشاب مسلم، اعلم ان الكنيسة لا تبيح الزواج بالمسلمين. وانا لا اريد ان اطرد من الكنيسة. ولذا ساجعل الشاب يدخل الدين المسيحي. واريد مساعدتكم لي.

– اي مساعدة تريدين؟

– اريدك ان تخبرني عن اشد قواعد الاسلام تخلفاً ورجعية ثم اساله في ذلك فلا يتمكن من الجواب. وفي نفس الوقت يكون هناك بديل مقنع لما اسأله في الكتاب المقدس. وبذلك يقتنع بما فيه. ويدخل ديننا. فماذا يمكنني ان اساله في هذا الخصوص. فكر البابا ادولف قليلاً ثم قال:

– اتريدين نقطة ضعف؟ ان معظم دينهم هراء، وضد المنطق.

– مثلاً ايها الاب؟

– مثلاً اساليه عن مسالة تعدد الزوجات صدقيني لن يستطيع الاجابة. فنبيهم كان متزوجاً بنساء كثيرات. ايعقل ان يؤمن احد بمثل هذا الدين في هذا العالم العصري المتحضر؟

– ان هذا السؤال جميل جداً ايها الاب. وسيبقى محمد في حيرة من امره في مواجهة هذا السؤال. ولن يستطيع ان يجد له جواباً. اليس كذلك؟

– لا يمكن فلا توجد اجابة منطقية لهذا السؤال.

خرجت من عنده وانا في غاية السعادة. وعندما كنت اهم بركوب سيارتي خطر ببالي ان اذهب واسال هذا السؤال لعبد الوهاب. وهكذا اكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد.

كان محمد قد رآني البانسيون الذي يقيم فيه عبد الوهاب. فذهبت اليه ووجدته. ولكنه قابلني بشيء من الفتور.

اظن ان هذا الولد يخشى التأثر بجاذبيتي. فهو يهرب من ان يكون صديقاً حميماً لي.

اخذني الى صالة الاستقبال بالبانسيون، لم يجد في نفسه الجرأة لان يأخذني الى غرفته، ماذا يظن، هل يظنني ساغتصبه ام ماذا لا ادري؟ سالني باسلوب مهذب:

– تفضلي يا آنسة ماريا، فانا استمع اليك.

– هناك سؤال يشغلني يا عبد الوهاب. اريد معرفة بعض المعلومات عن دينكم.

– هل يمكنني ان اسالك عن سبب هذا الفضول؟

– لا شيء ... ولكنه امر يشغلني ولا سبب لذلك. في دينكم يجوز الزواج باكثر من امرأة حتى اربعة نسوة. كيف تقبلون ديناً كهذا يبيح مثل هذا الهراء؟ بالاضافة الى ذلك فان نبيكم كان متزوجاً باكثر من امرأة. ايتبع نبي كهذا؟

– في هذه الحالة يجب علينا ان نتبع نبيكم اليس كذلك؟ ماذا تقولين؟

– بالطبع هذا يكون افضل بكثير.

– انظري لو اردتي حل المسألة في اطار منطق فلن نحل المسألة، فنبيكم لم يتزوج ابداً. ايعني هذا انه ينبغي الا يتزوج كل شخص؟ بقى ان تقول انه ليس بنبيكم. فانتم

تفترون عليه الكذب. انا اتكلم على سبيل الافتراض والجدل. تفضلي اجيبيني اينبغي الا يتزوج الناس؟

تحيرت واجبت اجابة متقطعة:

– لـ ، لا، بل يجب ان يتزوجوا فعيسى لم يحرم الزواج.

– وكذلك نبينا لم يحرم الزواج بواحدة. ومن اراد حتى الا يتزوج فليفعل. بشرط الا يقع في الزنا.

– ولكن يستطيع كل من شاء ان يتزوج باربعة ان يفعل ذلك.

– قفي عند هذه النقطة قليلاً. أنظري. أولاً لقد كان زواج نبينا بأكثر من امرأة في ذلك العصر يستند الى اسباب مختلفة. كان الاسلام لم يكتمل بعد، ولم ينتشر في العالم. لقد ظل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى سن الثالثة والخمسين متزوجاً بالسيدة خديجة، وهي سيدة قد تزوجت قبله مرتين، وتكبره بخمسة عشر عاماً. وكانت السيدة خديجة قد قالن له بعد ان تزوجهابخمسة عشر عاماً "يمكنك ان تتزوج بامرأة أخرى فقد كبر سني". ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج للمرة الثانية وهو في ريعان شبابه. لانه لا يتزوج بقصد الشهوة. ولو كانت الشهوة هي غايته لما بقى بدون زواج حتى سن الخامسة والعشرين في حين ان الفتيات كن حوله في كل مكان وكان ايضاً يمكنه الاتجاه الى ممارسة الحرام. الحقيقة ان الزواج لاجل اشباع الرغبة الجنسية ليس حراماً ولا ذنباً. ولكني استدل على انه لم يتزوج باكثر من امرأة لهذا السبب.

ثم تزوج بامنا خديجة التي تزوجت قبله مرتين، ومات عنها زوجاها. وكان عند زواجه منها في سن الخامسة والعشرين وكانت هي في الاربعين من عمرها. ولم يتزوج حتى توفيت السيدة خديجة. توفيت امنا السيدة خديجة وهي في السابعة والستين او الثامنة والستين من عمرها. لاحظي انها كانت قريبة من السبعين بينما

كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره تقريباً، ومع ذلك لم يتزوج باخرى.

وبعد وفاة السيدة خديجة بعدة سنوات تزوج رسول الله بالسيدة عائشة، وبعد ذلك حتمت الظروف عليه ان يتزوج اكثر من مرة. فقد تزوج سيدة من قبيلة اعدائه ليصبح قريباً لهذه القبيلة عن طريق المصاهرة، وهذا الامر كان مهماً جداً عند العرب. وهناك قبائل كثيرة دخلت الاسلام لهذا السبب. حتى ان امي كانت تقول "لو اعلم ان امريكا ستصبح مسلمة لزوجت ابنة رئيسها من زوجي".

فالرجال ليسوا الغاية الوحيدة لهؤلاء النساء المسلمات ولكن غايتهم هي العقيدة التي يؤمن بها. حتى انهن كن يساعدن ازواجهن على الزواج باكثر من امرأة في سبيل هذه الغاية.

– ايعني ذلك ان كل رجل لا يمكنه الزواج باربعة نسوة الآن؟

– لا يوجد في القرآن اصلاً نص يقضي بالزواج من اربعة نسوة. ولكن هناك رخصة تبيح ذلك في حالات الضرورة. وهذا ايضاً أمر يختلف باختلاف الظروف والاحوال. فهناك بعض الرجال لا يجوز لهم الزواج اصلاً. ليس فقط بامرأتين او ثلاثة وانما لا يجوز لهم الزواج ولو بامرأة واحدة. ولكن يصعب عليك فهم كل ذلك دفعة واحدة. فهذا الامر يحتاج الى علم بقواعد الاسلام واحكامه.

ناتي الى النقطة الثانية، يقول الله تعالى في القرآن الكريم، "فإذا خفتم الا تعدلوا فواحدة". فكل رجل لا يمكنه الزواج باكثر من امرأة فهذا ضد المنطق والحساب.

– كيف يكون ذلك.

– انظري، ساجري لك عملية حسابية. لو افترضنا ان العالم كله يعيش على حسب قواعد الاسلام. ولو ان تعداد العالم خمسة مليارات نسمة فإنه يلزم ان يكون عدد الرجال ملياراً وعدد النساء اربعة مليارات. ولذلك فلا يصح ان يكون هذا الوضع قاعدة للزواج. فلو نظرنا لوجدنا انه حسب منطق الاسلام، لا يمكن لكل رجل ان

يتزوج باكثر من امرأة ولكن في حضارتكم الغربية العصرية! فإن الرجل يمكنه اقامة عشرات العلاقات مع النساء حتى لامتزوجات منهن وهذا ما يحدث بالفعل.

والشيء الغريب انكم لا تنتقدونحضارتكم التي تسمح بعشرة عشيقات بينما تنتقدون الرخصة التي اباحها الاسلام والتي ان حدثت تحدث مرة واحد في الالف. اضيفي الى ذلك ان الاسلام يجعل مصاريف الطفل كلها على الاب. سواء كانت الام مطلقة ام لا. ولكن في حضارتكم فان معظم الاطفال لا يعرفون آبائهم. فلم لا تحاسبون حضارتكم هذه التي هي احط من حياة الحيوانات.

ولا تنسي آثار الحروب فان الرجال قد قل عددهم في بعض الدول لدرجة تستدعي زواج الرجل باكثر من امرأة.

تحيرت، بماذا ارد عليه،بماذا اجيبه. نعم ان ما يقوله صحيح فنحن نخدع بعضنا بالتاكيد. فالجل في مجتمعاتنا يمكن ان يوجد في حياته مائة امرأة او اكثر. حتى ان ابي غير معلوم لي تماماً! لقد كان القس يغالطني .... قال لي ان هذا السؤال لا يوجد له اي تفسير منطقي. لكن ما جاءني بع عبد الوهاب كانت ادلة منطقية رائعة. ذهبت مرة اخرى الى القس وانا حزينة. شكوته حزني قائلة:

– يا ابانا! قل لي شيئاً آخر لا يمكن تفنيده بالمنطق. فسؤال تعدد الزوجات هذا لم يأت بفائدة.

هرش القس رأسه ... وقال: ما دام الامر هكذا فاستمعي الي اذن. يوجد يف الاسلام ما يسمى بفؤريضة الزكاة. ونحن نقول ان نبيهم ما فرض عليهم هذه الزكاة الا لتوفير مصاريفه الخاصة. والا لماذا اخترع لهم شيئاً كهذا بدون اية مناسبة؟ السبب بالطبع انه لما نفذت اموال خديجة، ماذا يفعل محمد قال لهم "لقد امركم الرب بايتاء الزكاة" وبذلك وجد طريقة توفر له ما يحتاجه من مال.

– أوه هذا موضوع رائع. ساذهب الى هذا الشاب فوراً واضغط عليه بل واضعه في مأزق بسؤالي له عن هذا الامر. بدأ القس يشعر تجاه هذا الشاب بشيء من عدم الارتياح. فقال:

– ماريا. انا افضل الا تذهبي اليه. اليس هذا افضل؟

– لا ايها الاب. يجب علي ان اعمل واستعد بشكل تام لحين مجيء محمد. فكيف ساتزوجه لو لم اجعله مسيحياً؟

ادرت محرك سيارتي بانفعال. ووجدت عبد الوهاب مرة اخرى، فجلسنا في نفس الصالون. وبدأت اساله وانا واثقة من نفسي:

– ان نبيكم قد استغل دينكم لمصلحته الشخصية.

– آه ما هذا الذي تقولين؟ فنحن اذا قلنا سيدنا محمد فان ذلك يعني الاسلام، فكلاهما مترادفان. فهل يستغل الانسان نفسه.

– لا، لا. انا لم اوجه سؤالي بعد.

لقد كنت واثقة من نفسي ومن سؤالي لدرجة اني لم اكن استطيع الثبات في مكاني.

لماذا اخترع محمد موضوع الزكاة هذا؟ بالطبع لانه بدأ يعاني ازمات، مالية اليس كذلك؟

بعد ان استمع الي باهتمام. اخذ نفساً عميقاً وبدأ جوابه قائلاً:

– ايتها الفتاة!! اسمعيني، ولا تنسي ان الاسلام ليس كما قال لك القس. فالاسلام دين الله الذي دعا له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ان استاذك الذي يوجهك قد اخطأ هنا. فاخذ النبي للزكاة ممنوع في الاسلام. وليس النبي وحده هو المحظور عليه اخذ الزكاة وانما ايضاً يحظر اخذها على جميع افراد عائلته.

ففي احدى المرات اخذ سيدنا الحسن حفيد النبي صلى الله عليه وسلم احدى التمرات من مال الزكاة فلم ياذن له النبي محمد في ان ياكلها. للمرة الثانية اصابتني الصدمة.

– ماذا؟ ... ماذا قلت؟ اتقول ان اخذ الزكاة محظور على انبي؟

– نعم. الامر هكذا يا آنسة ماريا مع الاسف. ولكن اخذ الزكاة ليس محظوراً على فقراء المسلمين، من غير عائلة النبي، فديننا يدعو الناس للكرم والسخاء، فالزكاة ما هي الا صندوق لمساعدة الفقراء. وضريبة يدفعها الاغنياء من مالهم. فلو ان كل غني دفع الضريبة لما بقي فقير على الارض. وكل ما في الامر هو امكانية تطبيق هذا النظام استمعي الة ما يقوله الله عز وجل في القرآن الكريم "ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والارض والله بما تعملون خبير" سورة آل عمران آية ١٨٠. كما يقول في آية أخرى لم يسمعون اوامر الله ويطبقونها "ولا تظلمون فتيلا" (النساء آية ٧٧).

نعم هذه هي عقيدتنا. فالذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤدون الاحكام الاخرى، لن يروا اي نوع من العذاب. ولكن الذين يفترون الكذب على انبياء الله فهؤلاء حتى وان اعطيت لهم الدنيا الا انهم لن يفلتوا من عذاب جهنم. فهم لا يؤمنون بالاسلام ديناً. بل انهم لا يكتفون بذلك ويبحثون عن اي خطأ فيه كي يظهروه على الملأ. انظري ماذا يقول الله تعالى في سورة ابراهيم لمثل هؤلاء.

"الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد" (سورة ابراهيم آية ٣). ويقول تعالى: "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" (سورة الحجر آية ٢).

فالاسلام دين يحتاج في تعلمه الى صبر وتحمل واناة. وستندمين يوماً ما على انك لست مسلمة.

اتقلب كياني واضطربت بشدة بعد سماعي لهذا الكلام. فكأن القرآن كان يحكي عني حينما قال "يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً" بالضبط تماماً، فهو يقصدني انا بالذات.

تأثرت بشدة. واستجمعت قواي، وقلت وكانني اعزي نفسي، ولا انها صدفة فقط ان يقول مثل هذا الكلام.

ولكن غضبت جداً من القس. فقد جعلني لا اساوي شيئاً امام عبد الوهاب فذهبت الى الكنيسة باكية. ولكن القس كان غير موجود، فعدت الى البيت. فتح ابي الباب. وتلهف على حالتي، فحالتي كانت غير طبيعية ولكني اقنعتهم بقولي انا مريضة ... وذهبت الى غرفة النوم مباشرة وبكيت بحرقة. لا ادري على اي شيء احزن. أأحزن لان عودة محمد لم يبق عليها الا خمسة عشرة يوماً ام لما حدث لي اليوم من اهانة؟ لقد صرت حقيرة امام احد المسلمين الذين لا يساوون شيئاً، غداً اذهب الى كبير القساوسة، وآخذ منه انسب الاسئلة واقواها، ثم اذهب لكي اهزم هذا الشاب المسلم.

# هل قلبي يصارع عقيدتي

فجأة وجدت امي امامي، فاحتضنتها وانا مستمرة في البكاء.

– هل يمكنك ان تتخيلي يا امي انني هزمت امام مسلم ساذج؟ اصبحت في حالة مضحكة. ايعتمد البابوات عند اعتراضهم على الاسلام على هذه المعلومات العقيمة؟ احترت يا امي؟ احترت ماذا افعل؟ اذ لم يصر محمد مسيحياً فان هذه تكون نهايتي. اموت يا امي، اموت. ولكن فجأة خطر شيء ببالي:

– اعصى الكنيسة مع العلم باني ان فعلت ذلك ساطرد منها.

– ولكنك لا يمكن ان تفعلي شيئاً كهذا. انا اعرفك جيداً. انت لا تغضبي عيسى ومريم من اجل مسلم همجي، لا يمكن ان تغضبي الرب، او تبيعي الانجيل من اجل شاب اياً كان هو، وقلت بعد ان استرحت قليلاً. ما هذا الهذيان الذي اقوله؟

– بالطبع يا امي لن ابيع الانجيل. لا تهتمي بحالتي هذه. فانا اهذي. ولكني تضايقت جداً من الاب.

بدأت اصرخ دون ان اتحكم في صوتي قائلة:

– امي! انا لم اتطاول على البابا، انا فقط حاولت ان استريح من شعوري بالغيظ فعبرت بهذه الطريقة. والامر ليس بيدي.

– لا تكوني عديمة التربية. حتى وان غضبت فلا يحق لك ان تهزأي بالبابا.

– وماذا بعد يا امي! فالاب هذا هو الذي اوصلني الى هذه الدرجة من الحقارة. اليس لي الحق حتى في ان اغضب؟ تصوري يا امي لقد جعلني لا اساوي شيئاً امام احد المسلمين. ولكني غداً ساذهب الى الاب الـ.....

وفجأة وجدت ابي عند الباب. كان ابي لا يعلم بالموضوع ولكنه سمعني وانا اتطاول على البابا. فقال:

– انت محقة يا ابنتي.

كان كلام ابي يضايقني ولكني لم استطع التلفظ بشيء. لم استطع النوم في تلك الليلة ايضاً. فمتى انام اتذكر حالتي المذرية امام عبد الوهاب.

# الأب الأكبر ميشيل

اخيراً سالتقي بالاب الاكبر. قلبي يدق بشدة من الانفعال. ترى بماذا سينصحني، وماذا سيقول لي؟

حضر الاب الاكبر دون تاخير. هممت واقفة عند رؤيتي له. فقال لي "اجلسي" فجلست بمنتهى الذوق. وحكيت له كل شيء من اوله الة آخره. وهو ايضاً استمع الى باهتمام .....

وبعد ان انتهيت من حديثي ضحك بصوت عالي واجابني بثقة قائلاً:

– لقد تضايقت بدون داعي يا ماريا. فانا ساعطيك معلومات لن تجعل هذا الولد الذي ذكرت يصمد امامك ولو لثوان.

– آه، أهذا صحيح يا ابانا!! ليحفظك الرب. لقد اسعدتني. ترى ماذا ستقول لي؟

– أولاً وقبل كل شيء اريدك ان تناقشيه في القرآن، قولي له لماذا يرسل الرب كتاباً آخر مع وجود الانجيل؟ لقد اخذ محمد تعاليم هذا الكتاب من الانجيل. ويسمونها آيات. هذا اول شيء تفعلينه.

اما الشيء الثاني والمهم هو ما يحدث للنساء من ظلم في اطار الاسلام. لعلمك فالمرأة تأخذ نصف ما يأخذ الرجل من الميراث او بمعنى آخر، الرجل يأخذ ضعف المرآة.

وسبب ذلك حسب قول المسلمين هو ان المرأة تعتبر نصف انسان ولذا فهي تأخذ نصف نصيب الرجل من الميراث.

– ماذا لو وجد حلاً لهذه ايضاً يا ابانا؟

– يمكنه أن يات بتفسير ولكن هذا التفسير لن يكون منطقياً.

– نعم انت على حق يا ابانا. فلم يات الله بكتاب آخر مادام الانجيل موجوداً؟ وموضوع الميراث هذا ايضاً موضوع مهم جداً.

– وهناك ايضاً موضوع آخر هو موضوع الشهادة. فهم يأتون مع الشاهد من الرجال شاهدتين من النساء بدعوى ان المرأة ايضاً تساوي نصف الرجل، وبذلك فالشاهدتان من النساء تساويان شاهداً واحداً من الرجال.

– أوه! أهذا صحيح؟! اهكذا يكون القرآن؟!!

– نعم كما قلت لك تماماً.

وصلنا الى نقطة هامة ومحرجة بخصوص النساء.

هكذا الآن سوف اتمكن من هزيمة عبد الوهاب. هذا الشاب المتخلف كيف يغض الطرف عن هذه الفكرة المزرية للنساء؟! لا اتذكر كيف شكرت الاب الاكبر وخرجت من هناك .. وذهبت الى عبد الوهاب مسرعة، لدرجة اني لم اشعر كيف قدت سيارتي. حتى انني كدت اتصادم في الطريق. وركنت سيارتي دون ان اجذب فرملة

اليد. ولما وصلت البانسيون وجدت عبد الوهاب عند الباب. تحير جداً عندما رآني، وقال:

– لعله خير يا آنسة ماريا. ماذا حدث مرة أخرى؟

– ستصدم هذه المرة ان شئت تعال نذهب الى الكافتيريا لنتحدث قليلاً.

كنت اقول لنفسي "ان هذا يوماً لن ترى له مثيلاً" كنت سعيدة جداً. فلا يمكن تقويم اعوجاج كهذا او ايجاد حل له.

– عبد الوهاب هل تعلم ان القرآن ليس كلان الرب؟

اجابني بسؤال ساخر:

– أوه كيف اكتشفت ذلك؟!

– الا تؤمنون بان الانجيل كتاب منزل من الله؟

– بالطبع نؤمن بذلك. ولكننا نؤمن بالانجيل الاصلي.

– مادام الانجيل هو كتاب الله. فلم ينزل الله القرآن مع وجود كتاب آخر؟

– هل تؤمنين بالتوراة؟

– نعم بالطبع.

– فلم ينزل الانجيل مع وجود التوراة.

وفجأة احسست بألم شديد ودوار في رأسي. ولم أجبه، فاستمر قائلاً:

– إن تنزيل الانجيل مع وجود التوراة وتنزيل القرآن مع وجود الانجيل سنة من سنن الله. وقبل ذلك ارسل الله الوصايا الخمسين مع وجود الوصايا العشر، والتوراة مع وجود الزبور ... لقد امتحن الله كل امة بشريعة مختلفة. ولكن القواعد الاساسية واحدة من آدم عليه السلام في جميع الشرائع. إن التلميذ الذي ينهي المرحلة الابتدائية وينتقل الى المرحلة الاعدادية يذاكر دروساً مختلفة ويتم امتحانه فيها ولكن المبادئ الاساسية واحدة. وفي هذا الموضوع يمكننا ان نكتب خمسة كتب على الاقل، ولا يمكن ان يتم شرح ذلك كله في دقائق في هذا المكان.

– طيب. ماذا عن موضوع الميراث؟ لماذا يفرض الاسلام للرجل ضعف حق المرأة في الميراث؟ بالطبع لانه يرى المرأة كنصف انسان اليس كذلك؟

– انظري واستمعي الي بدقة. ساحاول شرح ذلك في عدة كلمات. المرأة في الدين الاسلامي لا تنفق على اي احد اي انها غير مسئولة عن الانفاق على اي شخص. وليست مضطرة ان تنفق على زوجها او حتى على ابنائها. فلو افترضنا ان في احد البيوت ولدان احداهما ذكراً والآخر أنثى وكلاهما تزوج بمن احب، ونفترض ان كلاً منهما اصبح له ثلاث اطفال ولكلاهما اب وام مسنان، فبهذا تتكون عائلة الابن من: ثلاثة اطفال + زوجة + الابن نفسه+ أمه + أبيه. فالمجموع اذن سبعة اشخاص. فالابن الذكر مسئول عن اعاشة هؤلاء الافراد السبعة.

ولكن اخته غير مضطرة للانفاق على اي شخص. الا اذا كانت غنية وابوها وامها فقراء ففي هذه الحالة يجب عليها الانفاق عليهما اذا كان الامر كما ذكرت لك الآن فبالله عليك هل من العقل او المنطق والعدل ان يتساوى ميراث الابن مع الابنة؟! فاذا حققنا التساوي نكون في هذه الحالة لم نحقق العدالة.

– فماذا عن موضوع الشهادة؟

– وماذا في موضوع الشهادة؟

– ان شهادة الرجل تساوي شهادة امرأتين. وذلك يحدث بالطبع لانكم تعتبرون المرأة نصف انسان اليس كذلك؟

– اصحيح ان استاذك قال لك ذلك؟ يا للأسف!!! انكم دائماً منخدعون. انظري يا آنسة ماريا. الاسلام ليس ديناً ضعيفاً كما تظنونه، ولا هو حتى كما يظنه ويعرفه بعض المسلمين في زماننا هذا. فمن الذي يستطيع المعرفة افضل من الله؟ والله تعالى اوضح موضوع الشهادة هذا في كتابه قائلاً "واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى". (البقرة آية ٢٨٢).

انظري العبرة هنا في مسالة التذكير. فلو قسنا المرأة بالنسبة للرجل نجدها، حساسة جداً. ويمكنها ان تنسى كثيراً بسبب شدة انشغالها بشئون منزلها واولادها. بالاضافة الى ذلك فان الاية فيها امتحان للايمان.

نعم النساء اكثر حساسية، واكثر تأثراً واكثر نسياناً .... ولو كان ادعاؤكم بان المرأة ينظر اليها في الاسلام على انها نصف انسان ادعاءاً صحيحاً، لما حكم على الرجل ان يقتلها بالقصاص. ففي الاسلام لو ان انسان قتل آخر فجزاؤه القصاص بشرط العمد. فلو كان الامر كما تذكرين فانه لا يتساوى قاتل الرجل مع قاتل المرأة، ولقيل "ان المرأة نصف انسان لذا وجب على القاتل نصف عقاب" وهذا لا يحدث بالطبع.

كما ترين يا آنسة ماريا، الامر ينقل اليك بصورة مختلفة. واعلمي انه ليس ذلك وفقط بل ان هناك بعض الامور لات تقبل فيها الا شهادة المرأة فقط.

– لا يمكن ... لا يمكن ان يفعلوا بي كل هذا! يا الهي ليتني اموت! لم اتمالك نفسي واجهشت بالبكاء، واندهش عبد الوهاب لحالتي.

– لماذا يا آنسة ماريا؟ هل يمكنني مساعدتك؟ لا تتحيري لهذه الدرجة يا آنسة ماريا، واسلمي وبذلك تكونين قد آمنمت بالانجيل وبسيدنا عيسى ايضاً ... لماذا تحزنين لهذه الدرجة؟

الآن اصبحت مضطرة لان اقص مشاكل ديني على شخص لا يؤمن به. يا إلهي إلى أي حالة مزرية وصلت! استطعت ان اقول عدة كلمات على مضض.

– لن اسلم يا عبد الوهاب، ولكني تاثرت بشدة لهزيمتي امامك.

– آه ماذا يحزنك فيما قلت يا آنسة ماريا؟ فالامر ليس خاصاً بك ولو انك جئت بمن شئت، فكلهم محكوم عليهم بالهزيمة امام من يعرف حقيقة الاسلام ... فعدم القدرة على الاجابة ليست منك انت.

استطعت ان اساله بصعوبة وانا اغالب بكائي.

– أإذا أخذتك الى ابينا فهل تناقشه؟

– بالطبع اناقشه فيما اعلم. لانني بطبيعة الحال لا اعرف كل شيء. ولكنني قادر على اقناعه اذا سالني فيما اعلم. وحتى اذا هو لم يقتنع فلن يكون لما يقوله اي فائده، وسيكون حديثه فقط من اجل المعارضة.

– ارجوك الا تتطاول على رجال ديننا.

– انا الذي ارجوك. فانا لا يمكنني التطاول عليهم. فبلاشك ان منهم المخلصين. وكلامي هذا موجه لكل من يفتري الكذب على ديننا او على الانجيل.

– ماذا يعني ذلك؟

– لقد حرفوا الانجيل بدعوى انه لا يتناسب والعصر. لا تفهميني خطأ فأنا لا اقصد من ذلك التطاول على الشعب الالماني او على البابوات وكذلك لا اقصد به المسيحيين. ولكن الذي يجعلنا نتحدث هكذا هو المستغلين في العالم المسيحي والمحرفين لاحكام الانجيل.

– ارجوك ... انا لا استطيع تحمل لهذا الهذيان. وسآخذ لك ميعاداً من البابا وهناك قل كل ما شئت.

افترقنا ونحن متفقين على ذلك. ولما عدت الى البيت فكرت في ان اتحدث مع ابي. فقلت لخادمتنا فرايا ان تصنع لنا قدحين من القهوة وذهبت الى ابي في غرفة المكتب.

تعالي يا ابنتي الجميلة واجلسي هاهنا. لنحكي لبعضنا ما يشغلنا كاب وابنته. فانا ارى انك غير سعيدة في الايام الاخيرة على غير عادتك.

– انت على حق يا ابي.

– هل انت حزينة لاجل هانز؟

– لا، اللهم احفظني منه. لقد خرج هانز من حياتي الى غير رجعة.

– تعلم ان محمداً سياتي قريباً.

– لو كنت تفعلين هذا لان هانز ذهب الى امريكا فانا اوضح لك الامر. انا ارسلته على عجل. كان يجب ان يوصل رسالة عاجلة.

– ابي لا ترهق نفسك. فهانز لا يهمني ابداً. ابي اريد ان اسالك قبل ان انسى. كيف ابتعدت عن الانجيل؟

– الامر في غاية البساطة. فانا وجدت انه لا يناسب العصر.

– هل كنت تؤمن انه كتاب منزل من الله.

– بالطبع نعم.

– اذن هل تؤمن بالله؟

– انا اؤمن بضرورة وجود وقوة ما تحول الذرة الى عنصر كيماوي، والعنصر الكيميائي الى خلية، وان هناك منظم دقيق لهذه الكروموزومات.

– اذا كان الامر كذلك فكيف تتصور ان يخطئ؟ وهل هو يعلم ما هو مناسب لهذا العصر؟ اما انت فلا اظنك تؤمن بان الانجيل منزل من الرب فلو انك تؤمن بذلك، وكان تنظيم الله للطبيعة على مدار ثمانية مليار سنة هي عمر المخلوقات بنفس القدرة وبدون اية اخطاء، لكان ذلك دليلاً لك على ان الخالق هو الله.

– آه انك تحزنينني يا ابنتي. ففي حين اني اظنك اصبحت ملحدة اجدك تتحدثين بهذا الشكل. لو كان الله يقول الحق بالفعل فلك يحرف البابوات الانجيل؟، اهم اعلم من الله؟

– ابي فماذا لو بلغ الله رسالته بكتاب آخر؟

– اي كتاب مثلاً؟

اجابني ابي بعد ان ضحك بصوت عال قائلاً:

– لا تضحكيني يا ابنتي، فانا ارى حال انصار القرآن واتباعه. ايكون هذا هو حال من اخذوا رسالة الله. فهذه مصر، سوريا، الجزائر البانيا، وتركيا، واذربيجان ... واي مكان يخطر ببالك تعالى نرى احوال الناس فيه وخصوصاً الشباب منهم. ترى اي الرسالات يؤيدون؟

– ولكن ما قلته لا يعيب القرآن. ولكنه يؤكد نتيجة عدم اتباع تعاليم القرآن.

– اتريدين ان تصبحي مسلمة؟

– لا يا ابي. ليحفظنا الرب! كيف تقول هذا؟ ما سالت عن هذا الا لما اشعر به من ضيق. فالبابوات يضايقونني. لقد جعلوني انهزم امام شاب مسلم متخلف.

غداً ساذهب الى الراهبة مونيكا واتعلم منها بعض الدروس. وفجأة خطر ببالي اني ينبغي علي ان اظهر نفسي امام ابي كملحدة. فغيرت حديثي فجأة وقلت:

– هل تعرف يا ابي لماذا ساذهب؟ لو انني جمعت معلومات اكثر عن المسيحية فهذا سيساعدني عند مواجهتها على ان اكون اكثر اطمئناناً، هذا ما افكر فيه.

– هل انت متأكدة مما تقولين؟

– بالطبع نعم يا ابي.

ولكني لا ارى ذلك. فانا ارى انك في الايام الاخيرة مختلفة جداً. وحزينة. اثبتي على دينك ان شئت. ولكن لا تقولي انك ستدخلين الاسلام لاجل محمد والا قتلتك. تعلمين انني انسان متفاهم جداً. ولكنك لو دخلت الاسلام فلن تجدي عندي هذا التفاهم.

– ياللعجب يا ابي ... من اين لك بهذه الفكار. صحيح انني احب محمد جداً، ولكن هل اقدم اية تنازلات في ديني من اجله؟!

– صحيح اين امك؟

جاءت القهوة في هذا الوقت. ونسينا موضوع عدم وجود امي بالمنزل وشربنا القهوة. واثناء احتساء القهوة استمر حديثي مع ابي. وانتقلنا للحديث عن مصطفى كمال.

– ابنتي، عزيزتي الصغيرة. انظرى، ما اجملك من فتاة، وعندما يراك مصطفة كمال فانه سيذوب من فرط جمالك. صحيح ان في حياته كثيرات نت النساء والفتيات ولكن، ماذا لو دخلت انت ايضاً حياته. على الاقل يمكنك ان تجعليه يلبس النساء المسلمات المايوه مثلاً. وآه لو تزوجتيه .... ستكون تركيا لنا غداً، ويصبح الغد ملكاً لنا. ثم ان اتاتورك رجل وسيم ها ها ها ... ولو رأيته لتغيرت اشياء كثيرة...

– ابي ... ارجوك افهمني، فانا لا استبدل حبي بمحمد ولو بالف من امثال مصطفى كمال. فوسامته لا تهمني.

– لا تكوني غبية يا ابنتي. هذه فرصة كبيرة بالنسبة لك .. انظري كيف نجحت الصحفية الفرنسية مدام جافليس ... فلقد كانت اول امرأة تدخل مجلس الامة التركي. لكني لا اظن ان لها علاقة قريبة باتاتورك فهي لم تكن امرأة جذابة. ولم يهتم بها اتاتورك ابداً. ولكنه سيهتم بك بلا شك... ماذا لو اطعتني يا ماريا! فإنه ينبغي علينا نشر حضارتنا الجديدة والحرية وفكرنا المعاصر.

– ولكن الفتيات في تركيا يرتدين المايوهات ويشتركن في مسابقات ملكات الجمال. فماذا تريدون غير ذلك يا ابي؟

– المسألة يا ابنتي لا تنتهي بالمايوه. المسألة هي هل يمكننا ان نجذب جميع الميلمين الى هذا المناخ العصري؟ فهناك حتى من لا يحبون اتاتورك. ولو تمكنوا منه لشنقوه. ونحن لا نستطيع ان نترك اتاتورك وحيداً في هذا البلد. بل يجب علينا ان نساعده في كل الامور.

كلما كان ابي يستمر في حديثه كنت انتقل من دهشة الى دهشة.

واصبح ما يشغل عقلي الآن اربعة اشياء.

محمد، الحاد ابي، الاسلام الذي لم تفسد ولو حتى احدى قواعده، وماذا سيفعل عبد الوهاب في مواجهة البابا الاكبر؟ يا الله ياله من مربع حصين؟! لماذا لم تأت رسالة من محمد حتى الآن. يا إلهي لماذا احببت محمداً؟ لا ادري. اهكذا يكون الحب! .. اهكذا يكون الحب؟

# ليس كل شخص يمكن ان يعطي نصيحة حسنة

ذهبت الى الراهبة مونيكا وقصصت عليها مشكلتي. كانت مونيكا امرأة شريفة ومحترمة. وكانت تواسيني بعد ان شرحت لها كل همومي، فشعرت بشيء من الراحة ، وخرجت من بيتها. وقبل ان اصل الى باب الحديقة رايت صديقتي القديمة فيرا. فبكيت وانا احتضنها. فاخذتني الى بيتها ... وقالت لي ...احك لي ماذا بك؟ فحكيت لها القصة من اولها الى آخرها.

كانت مواساة فيرا لي مختلفة جداً.

– هل انت غبية يا ماريا؟ ما دمت تحبين شخصاً كهذا، فلم ترفضينه من اجل دين؛ اياً كان هذا الدين؟

– انا لا ارفضه، هو الذي قال لي "انت متعصبة دينياً وهذا سيخلق بيننا مشاكل" وانا ايضاً اريد ان اجعله مسيحياً.

– هل حاولت؟

– لا ولكني استعد لذلك. ولكن البابوات اوصلوني الى خيبة امل حتى كدت ان اشك في ديني ... ولكن ليحفظني الرب! فالمسألة بالنسبة لي ما هي الا لحظة ضيق.

– لا تحزني يا ماريا. فان لم يصبح هو مسيحياً، فلتدخلي انت في الاسلام.

– ما هذا! ليحفظني الرب، وليقدسني عيسى. الموت عندي خير من ان اصير مسلمة. فالمسلمون انفسهم غير مقتنعين بدينهم ولا يطيعون اوامره، ايعجبني دين كهذا؟

– أوه دعك من اسطورة الدين تلك. اعتنقي اي دين فلا فرق بينهم. او لا تعتنقي اي دين منهم. فماذا سيحدث؟

– يا الهي هل صرت انت ايضاً ملحدة يا فيرا؟

– نعم يا عزيزتي. فلو اردت ان تكوني امرأة عصرية، لابد ان تكوني قوية بذاتك، ولا تحتاجين الى الله.

يا الهي ان هذا الكلام يشبه كلام ابي تماماً. ماذا يحدث لهؤلاء الناس. لماذا يجتذبهم الالحاد هكذا؟

شعرت بالضيق لاني تحدثت مع فيرا. افضل وسيلة هي ان اتكلم مع امي ... لما عدت الى البيت في المساء وجدت امي سعيدة جداً.

– بشراك يا ماريا!! عندي لك مفاجأة!!!

– هل هناك اخبار من محمد يا أمي؟!

– نعم يا عزيزتي هناك رسالة. مع اني اشعر بالغثيان لاني لمست خطاباً من احد المسلمين الا اني اسعد لاي شيء يسعدك. خذي الخطاب.

يا الهي! ... هل هذا حلم؟ اين انا الآن؟!!! يا الهي!!! لا ادري كيف اخذت الخطاب من امي ... قبلت الخطاب عدة مرات. كنت لا أجرؤ على فتحه. كنت اتخيل ان محمداً يوجد بداخل هذا المظروف وما ان افتحه سيطير ويذهب. يا الهي ما الداعي الى حب انسان لهذا الحد؟ هل انا مجنونة لهذه الدرجة؟ وهل الناس يستحقون كل هذا القدر من الحب؟

فتحت الخطاب بصعوبة ويداي ترتعشان... كتب الخطاب بلغة انجليزية جيدة.

حبيبتي ماريا:

اعلم انك لن تغفري لي. ولكنك على حق .. وأنا اخجل من طلب العفو منك. هل تعلمي لماذا لم اكتب اليك؟ حاولت ان انساك .... ولكي انساك، كانت وسيلتي الوحيدة هي قطع العلاقة بك. ولكني ادركت اني احبك جداً، ولا يمكنني ان افعل هذا ... ولذا فلن استطيع الاحتمال اكثر من ذلك وسآتي بعد عشرة ايام".

جلست على الاريكة صامتة. يعني انه اراد الابتعاد عني ولكنه لم يستطع ذلك وهذا يعني انه يحبني جداً.

كاني اعيش في عيد من فرط سعادتي. تجمدت هذه السعادة بداخلي فجأة. فانا لم استعد تماماً بعد لان اجعله مسيحياً. تكلمت مع ابي في تلك الليلة، واتصل هانز تليفونياً. وحكى ابي له عن قصتي مع محمد. فقال ليس هذا مهماً. لتله ماريا كما

شاءت وساسوي كل الامور عند عودتي. وساله ابي عن الوقت المناسب لعودته. هذا يعني انه لم يذهب لتوصيل رسالة فقط وانما هو مكلف بعمل مهم.

ها ... عندما ياتي سيسوي كل شيء ... هانز التافه! ماذا يظن نفسه؟ هو لا يعلم ان عالمي كله ملك لمحمد. آه لو تفوه بكلمة واحدة عند عودته لابصقن في وجهه..

في اليوم التالي استيقظت مبكراً وذهبت الى البابا...

– يا ابانا انا لن يمكنني ان اقنع هذا الشاب المسلم المسمى عبد الوهاب. هل احضره لكم؟ ارجوك يا ابانا فقد تضايقت جداً. ولقد بقى على حضور صديقي مدة قصيرة جداً. وانا حتى الآن لم افعل اي شيء.

– ليكن يا ابنتي. اذهبي واحضريه فالمناقشة معك ليست كاملناقشة معنا.

– هل يمكنني حضور المناقشة التي ستدور بينكما؟

– بالطبع ستكونين معنا.

ذهبت بسعادة الى عبد الوهاب، وحكيت له القصة. قابلني مرة اخرى بعدم اهتمام.

– لماذا جئت وحدك لتأخذيني؟

– وهل كان ينبغي علي ان آتيك ومعي الجيش؟

أضحكت اجابتي هذه عبد الوهاب وقال:

– بالطبع فانت على حق. فالعلاقة الحميمة بين شاب وفتاة ومقابلاتهم المستمرة ، ليست شيئاً جيداً.

– لا يا عزيزي لا تقلق. فأنا لا اشعر باي اهتمام نحوك. ولا تخف فعندي محمد.

– من قال لك اني اخشاك. في هذه الحالات لا يكون الخوف من طرف واحد!

– يا الله! ... ما هذا الذي تقول؟ انت تحب خطيبتك ولا تخدعها. وانا ايضاً احب محمداً ولا اخدعه. فممن ومن اي شيء تخاف اذن؟

– انت لا تستطيعين فهم المسألة ... ربما لا تخشين شيئاً. ولكني اخشى الله. واخشى من شيء آخر.

– آه! يخيفك الله لتواجدنا في مكان واحد.

– أنت لا يمكنك فهم مثل هذه الاشياء. دعينا من ذلك؟

– وما هو الشيء الآخر الذي يخيفك؟

– دعينا منه ايضاً.

– اذن لنذهب فالبابا في انتظارنا. وسترى نتيجة ما فعلته بي في الايام الماضية.

– سآتي معك بالطبع. فلو اني لم آت لظننت ذلك خوفاً من مواجهة البابا. وأنا لا اريد ان يظن احد هذا الظن بي. انتظري سانادي على تاكسي.

– أوه لا داعي. ففي الخارج تقف سيارة احد اطاراتها لك والاخر لاخيك والثالثة لاخيك الاخر. فانت تملك ثلاثة ارباعها.

– يفهم منذ لك ان هذه الجملة كان لها اثراً كبيراً عليك.

– بالعكس لم تؤثر في ابداً. ولكنك لما تصورت ان لك حقاً في سيارتي دهشت لذلك جداً.

ركبنا السيارة وجلس هو في المقعد الخلفي.

– ان السائحين العرب لا يخرجون من بارات وملاهي اوروبا ... ويسهرون مع العاهرات حتى الصباح. اما انت فتخشاني لهذه الدرجة مع انهم لا سخشون هؤلاء المومسات. والله انني في غاية الدهشة. انظر انك لا تجلس في المقعد الامامي للسيارة بسبب خوفك هذا، الا ترى السائحين العرب كم هم مولعون وشغوفون بالراقصات في الملاهي الليلية؟ فلم لا توجد عندك هذه الجرأة الحضارية؟

– هم كعرب يعدون منا. ولكنهم لا يعدون منا كمسلمين. ثانياً، الكلب عندما يمشي خلف كلبة تهز ذيلها يشعر بجرأة شديدة. يتباهى، ويغازل ولكنه مع كل ذلك كلب. وذلك ان من يهوى العلاقات المتعددة، اذا فعل ذلك دون الاهتمام باية قيود، فانه يكون قد اكتسب هذه الجرأة الحضارية التي تدعينها من الكلاب. وانا انسان ... ولا اريد حياة تشبه حياة الكلاب. ولكني انحاز لطريقة الحياة التي تناسب البشر.

– ايعني هذا انك تقول ان العرب كلاب؟

– بالطبع لا ولكني اقول "إن من العرب ايضاً من هم كالكلاب" أو بمعنى آخر أنه يوجد في كل جنس من هم كالكلاب اتعلمين ذلك؟

أخيراً وصلنا الى البابا. استقبل البابا عبد الوهاب بمنتهى الترحاب ثم اشار اليه ليجلس. وبعد ان جلس عبد الوهاب هم البابا بالجلوس وقال له وهو يشير الى الكتب الموجودة على مكتبه.

– كما ترى القرآن ايضاً موجود على مكتبي، لقد قرأته من أوله الى آخره....

أجابه عبد الوهاب ضاحكاً:

– هناك فرق كبير بين قراءة القرآن وفهمه ...

– نعم اعلم ذلك ولكني قرأته بفهم.

– اذن فانت مسلم!

– لا انا مسيحي.

– ولكن لا احد غير المسلمين يستطيع ان يفهم حكمة القرآن. فقط يمكنه تصور انه فهمها. ولكنه في الحقيقة لم يعيها تماماً.

دعونا من ذلك، فموضوعنا هو الانجيل وليس القرآن. ولو اردتم العودة الى القرآن مرة اخرى فعلنا ذلك. وبالاضافة الى ذلك فانا اشكركم على حرصكم على قراءة القرآن ايها الاب. واسال الله ان يجعلك ممن يسيرون على منهج القرآن. ونسعد بان تصبح من المسلمين، وتتشرف بالانتساب الى هذا الدين العظيم.

– إنك تحب المزاح كثيراً .... هناك بعض ما اريد ان اسالك ايه. فانا اريد ان يطمئن قلب ابنتي هذه.

– صدقني وانا ايضاً اريد نفس الشيء.

– سأوجه لك اول اسئلتي. لماذا اعلن محمد نفسه نبياً؟

– انت مخطئ في ذلك. فسيدنا محمد لم يعلن نفسه نبياً. ولكن الله تعالى هو الذي اصطفاه وارسله نبياً.

ولنأت بجواب على سؤالكم هذا من كلام الله تعالة في الآية (٢٩) من سورة الفتح يقول الله تعالى: "محمد رسول الله".

– ولكن لا يعنيني شيئاً في ان تقرأ لي من القرآن . فلو انني كنت اؤمن بان القرآن منزل من الله لاسلمت.

– اشكرك جداً على هذا ايها الاب. فصراحتكم هذه تسهل علينا حوارنا. اولاً انا مسلم ولذلك من الطبيعي ان آتي بادلتي الاولى من القرآن الكريم الذي هو اول مصادر الاسلام. ولكن ما دمتم لا تقبلون ذلك فسآتيكم بدليل من الانجيل. أولاً الله سبحانه وتعالى بشر في الانجيل بمجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن معظم المسيحيين لم يستطيعوا تقبل نبوة سيدنا محمد. زكذلك اليهود. ومازالوا يؤمنون حتى الآن بان نبياً ما سوف يرسل. لقد ارسل النبي ولكن لان هذا النبي ليس من جنس اليهود لم يتقبلوا نبوته. ومعظم المسيحيين كذلك ايضاً. لم يؤمنوا بهذا النبي لانه ليس منهم. ولكن كان منهم بعض المنصفين كالراهب "بحيرة" مثلاً.

– دعك من كل هذا لقد قلت لي ان هناك دليلاً على نبوة محمد من الانجيل فقل ما هو هذا الدليل. ام انكم تؤلون الانجيل كما يروق لكم.

وسترون الآن وستعلمون ان الانجيل لا يحوي اي شيء كهذا.

ناقش ابونا، لقد تحداه بشكل قوي ورائع، وبثقة في النفس ليس لها مثيل. لقد شعرت بارتياح كبير. فهذا يعني ان عبد الوهاب كان يقول ما قاله بدون قصد او رمية بغير رام وبدون دليل على ذلك. وانا كنت ارتردد في الاجابة عليه نظراً لاني لا اعرف الانجيل جيداً. بعد ان وضع البابا كل الاناجيل على المنضدة نظر الى عبد الوهاب وقال:

– هيا لننظر ايها الفتى، اين يوجد ما ذكرت في هذه الاناجيل؟ ائتني بجملة تقول "سوف ياتي بعدي مخلص" ارني هذه العبارة. كاد قلبي يتوقف. مد عبد الوهاب يده الى انجيل متى مبتسماً.

– خذ ايها الفتى ارني هذه العبارة التي ادعيتها.

– بكل سرور ... ناولني اياه وساوريك فوراً.

تناول عبد الوهاب انجيل متى وقال:

– تفضل سأقرأ عليك ففي الفقرة الثانية عشرة من الاصحاح الثالث يقول سيدنا عيسى عليه السلام:

– "ولكن الذي ياتي بعدي هو اقوى مني، الذي لست اهلاً ان احمل حذاءه" واعلم انكم ادعيتم بعد انجيل برنابا ان قائل هذا النص هو يحيى عليه السلام ... وحرفتم كلام سيدنا عيسى.

انظر كيف ورد نفس الموضوع في الفقرة السابعة من الاصحاح الاول في انجيل مرقص "يأتي بعدي من هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان انحني واحل سيور حذائه" ... ونسبتم ذلك ايضاً الى يحيى عليه السلام . الخبر هنا لم يأت عن طريق الوحي. وانما كانت تلك ملاحظات متى ومرقص. أو انكم حرفتموها حسب رغبتكم.

أنتم تؤمنون بان عيسى اله، وتعتقدون في الوهية البشر.

ولكن انظر في الفقرة السابعة عشرة في الاصحاح الاول في انجيل يوحنا تقول "الله لم يره احد قط" انظر كيف غيرتم العبارة.

في هذه الايام تقولون بالوهية عيسى، ومن ناحية اخرى يقول الانجيل "ان الله لم يره احد قط" .... اما يوحنا فيقول "أنهم لم يولدوا بارادة الجسد، ولكن ولدوا من الله".

ثم انكم حرفتم الانجيل لدرجة انه لم يبق من احكام الانجيل الاصلي الا الشيء القليل جداً. على سبيل المثال الخمر محرم في الانجيل اما انتم فتقولون انه "ليس وزراً".

– لا الانجيل لا يحرم الخمر.

– اذن تفضل الفقرة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من الاصحاح الاول في انجيل لوقا لتقرأها معاً.

وهنا احسست بالصدمة .... كانت قدماي ترتعدان، ولا تقويان على حملي. تناول عبد الوهاب الانجيل من على المنضدة وبدأ يقرأ.

– تفضل ايها الاب هاأنذا اقرأ: "ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته. لانه يكون عظيماً امام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب". نعم ما رأيك في هذا؟

ثم اني الفت انتباهكم الى ان هناك حكماً في الانجيل يقول "من ذا الذي يستطيع ان يغفر الذنوب الا الرب".

وانتم ترتكبون ذنباً في مواجهة هذا الحكم وتصنعون احكاماً باسم الله. وانتم ايضاً تنكرون الختان في حين ان اليهود لا ينكرونه.

ارجو الا نفهم من ذلك اني افضل اليهود عليكم. ولكني اذكر هذه العبارة فقط لاني اتناول مسالة الختان.

ففي انجيل لوقا الفقرة التاسعة والخمسين بالاصحاح الاول ورد ما يلي "وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي" ثم يستمر قائلاً "مبارك الرب اله اسرائيل" ايمكن ان يحدث مثل هذا الهراء من الله؟ وهل باركهم الرب؟ وهل الرب هو رب بني اسرائيل فقط؟ اليس الرب اله كل البشر؟ انتم تقولون عن سيدنا عيسى في الاناجيل الاربعة "عيسى الرب" اي المتناقضات اعدد وايها اترك ولا ادري ... لقد ارتكبت اخطاء

فاحشة لا يبررها المنطق. والآن اسالكم ايها الاب. هل الناس يعلمون ما فيه الخير اكثر من الله تعالى؟

– بالطبع لا.

– اذا كان الامر كذلك فلم يتم تحريف الانجيل في كل عصر اذن؟

– ولكن تعلم انه يجب مسايرة العصر. فاذا لم يتلاءم الزمن معك فينبغي عليك ان تتلاءم انت معه.

– يعني الم يكن الله يعلم مشاكل واحتياجات هذا العصر؟

– ولكنكم يوجد عندكم بعض المتناقضات ايضاً كالمذاهب الاربعة مثلاً.

– هناك نقطة تغيب عنكم بهذا الخصوص ... المذاهب عندنا الا نتيجة للاختلاف في تأويل بعض الاحاديث الشريفة. ولكن لا يوجد لكل مذهب من المذاهب قرآنا مختلفاً. وكذلك الامر بالنسبة للمذاهب الاخرى. فلكلك هذه المذاهب قرآن واحد فقط. ولا يوجد اي اختلاف او نقصان او زيادة في اي آية منه.

اما الاناجيل الموجودة عندكم والتي تروى من قبل اربعة اشخاص مختلفين، بينها جميعاً تباين كبير جداً فيما يروى عن عيسى عليه السلام. فيجب عليكم الا تشعروا بعدم الارتياح لوجود المذاهب الاربعة عندنا. فهناك فرق بين اختلاف الدين واختلاف المذهب والتاويل.

باختصار ايها البابا ... اراكم شخصاً محترماً فما عليك الا ان تدرس الاسلام جيداً. وتعلم بماذا كلف الله البشر. تعالى الى الاسلام وبذلك لا تنقطع صلتك بعيسى ولا بمحمد عليهما السلام.

تعلم بان الانجيل تم تحريفه، وكذلك تعلم بانه قد تم طمس انجيل برنابه اقرب الاناجيل للانجيل الاصلي.

لقد حرف الانجيل لدرجة انهم بدأوا يروا ثراء الناس على انه ذنب. ومدح الفقر في الانجيل في تلك الفترة التي عمل اليهود فيها على ان يكونوا اغنياء وعملوا على امتلاك الثروات في جميع انحاء العالم.

ثم ان الكنيسة قد تسببت بنظامها هذا في ظهور العلمانية، وذلك في سنة ١٧٨٩. والذي قال عنه الغرب انه عصر النهضة الحقيقي.

والثوريون الديمقراطيون الذين قالوا "ان الدين يعوق تقدم الامم". هؤلاء هم الذين فصلوا الدين عن الدولة وقالوا "لقد قتلنا الرب في الكنيسة". وسموا هذا النظام الذي يفصل الدين عن الدولة بالنظام العلماني. وبمرور الوقت بدأوا محاكمة القرآن بهذا الاعتقاد. وجعلوا بعض المسلمين يعتقدون ان ما يحويه دينهم مثل ما يحويه الانجيل تماماً.

.... والكتب المناوئة للاديان والموجودة في فرنسا عندما تقول قاصدة الكنيسة "لقد كان الدين سبب تخلفنا" فان القارئ في فرنسا سيفهم من كلمة الدين: المسيحية. ولكن

القارئ لنفس العبارة في تركيا او في مصر سيفهم وسيعتقد ان المقصود هو الدين الاسلامي.

وكانت نتيجة هذه التخاوف ان حدث نوع من الكسل الذي ظهر بسبب عدم معرفة المسلمين لدينهم. وذلك هو ما اوصلنا الى هذه الحالة. فتعالوا وادخلوا في الاسلام. فمثلاً الزواج محرم عليم الآن. وهذا تعطيل لفطرة الانسان وهذا شيء غير ممكن. عودوا الى فطرتكم. وتزوج وليكن لك زوجة واطفالاً. واذا اردت ان تكن رجل دين صالح فهذا ايضاً ممكن ولا مانع من ذلك. فكل مسلم صالح وحقيقي يمكن ان نطلق عليه حسب مصطلحاتكم "رجل دين جيد".

يا إلهي!! إن شفتاي ترتعشان. لا استطيع احتمال هذا المنظر. وسأله الاب وأنا على وشك الاغماء قائلاً:

– من الذي قال بأن الانجيل يدعوا الى الفقر؟

– لو أمعنتم النظر في أناجيلكم ونصائحكم ستدركون ذلك.

ثم انظر الى الاصحاح ٥: ٢٧، ٣٠ من انجيل متى انه يقول: "قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن" هذا كلام جيد. وعلى أية حال فهو مما بقي من الانجيل الحقيقي. ولكن انظر الى ما بعد ذلك "وأما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" نعم هذا ايضاً لا يعد كذباً.

ولكن لننظر الى ما بعد ذلك "فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك" نعم، يقول ذلك بالضبط "اقلعها والقها عنك" ايها الاب هل رأيت ابداً من قلع عينه لانه نظر لامرأة بنية سيئة؟ انت مثلاً كثيراً ما ترى نساءاً عاريات، الم يفسد قلبك ابداً؟ ... آسف لعلك لا تستريح لكلامي فقلبك لم يفسد.

ولكن ألم يفسد قلب الملايين من المسيحيين ومنهم بعض البابوات بطبيعة الحال؟ فهو رجل وفي نفس الوقت اعزب، فكيف يستطيع التحمل، وذلك امر خارج عن

ارادته. وهؤلاء لا يملكون خصائص الانبياء. مع ان الانبياء ايضاً بشر (ومعلوم ان لهم ايضاً شهوة) وليس ذنباً ان يكون للانسان شهوة. الذنب هو ان نقضي هذه الشهوة بطريق حرام. فالانسان مسئول عن افعاله اكثر من مسئوليته عن قلبه...

اظن ان متى صاحب الانجيل لم يكن يهتم بالنساء ابداً، والا لم قال هذا الكلام ليته قال "اقول لمن ينظر للمرأة سواء الجميلة او القبيحة الا ينظر اليها مرة اخرى، واذا كان قلبه قد تأثر فليعلن توبته". ليته قال ذلك، وانما يقول "ليقلع عينه". ما هذا بحق الله؟

– هذا مكتوب على سبيل المجاز؟

– لم ننته من الفقرة بعد، ولننظر هل هي مجاز ام لا؟

ساستمر في القراءة من المكان الذي توقفت عنده "فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك. لانه خير لك ان يهلك احد اعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم" متى ٥: ٢٧ – ٣٠، حسب منطق انجيلكم، فان كل الرجال سيدخلون النار، او يقطعون اعضاءهم التي ارتكبت الذنب ويلقونها عنهم. انظر الى حال الغرب. انه غارق في مستنقع الرذيلة، والزنا هو شغله الشاغل .... اللواطيون، والشواذ الذين يدورون خلف الاطفال في كل مكان، والسحاقيات مازالت اجسام واعين هؤلاء صحيحة ولم يصبها اي شيء.

– كأنكم انتم ايها المسلمون تطبيقون تعاليم دينكم؟

– انت هنا على الحق ولكننا لسنا هنا لنتحدث عن افراد وانما لنتحدث عن الدين. فالمسلمون عندنا هم المذنبون اما عندكم فالدين هو المذنب ... وانتم السبب في وصول المسلمين لهذه الحال. اللعنة على هذا المنطق العقيم، فالخرافات التي لا يصدقها عقل ولا خيال انتقلت منكم الى العالم الاسلامي. فبعض من يعيشون في العالم الاسلامي ولا يعرفون شيئاً عن الاسلام يظنون ان الخرافات الموجودة في التوراة والانجيل موجودة ايضاً في القرآن.

– انك تبالغ جداً. لا ، لا يمكنك اهانتنا داخل كنيستنا.

– ولماذا تنتهزوا كل فرصة لتهينونا في مساجدنا، واوطاننا في كل زمان ومكان؟ انظر الى هذه الاناجيل فاسم الله لا يذكر حتى عشرة مرات في كل منها. ولكن عيسى يذكر ثلاثمائة مرة على الاقل. وهكذا يذكر "الرب يسوع" فهل يمكن ان تكون سلسلة الاساطير التي اعطى لعيسى فيها مساحة اكبر من التي اعطت لله، هل يمكن ان تكون كتاب الله؟ اليست النساء المطلقات ايضاً عباد الله؟ ام انني اكذب؟ انظر متى ٥: ٣٢ من فضلك. ونفس الموضوع يوجد عكسه تماماً في نجيل مرقص. "فقال لهم من طلق امرأته وتزوج باخرى يزني عليها. وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني" مرقص (١٠: ١١-١٢).

ايهما صحيح؟ فحسب احد الاناجيل لا يجوز الزواج بالمطلقة والان في حضارتكم يعيبون على الفتيات لانهن عذارى. ،]أذنون للشواذ بالزواج. فحضارتكم التي تحتقر المرأة تلطخنا نحن بعيوبها.

وكذلك حولتم الاناجيل الى مصدر للانفاق على رجال الدين.

– الا يوجد في الاناجيل امر حسن جاء من الله؟

– يوجد بالطبع. فمثلاً توجد هذه الفقرة في انجيل متى "واذا واحد تقدم وقال ايها المعلم اي صلاح اعمل لتكون لي الحياة الابدية" "فقال يسوع لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور، اكرم اباك وامك" متى ١٩: ١٦ – ١٨.

وتوجد عدة عبارات كهذه تتوافق وأوامر الله ومبادئ الاسلام. والباقي كله اختلاق. كهذه الاقوال مثلاً: " ولا تدعوا لكم أباً على الارض لان اباكم واحد الذي في السماوات".

ايمكن ان يكون هذا امر الله؟ فمن ناحية يقول اكرم اباك وامك، ومن ناحية اخرى يقول " لا تدعوا لكم ابا على الارض" وما رأيك في هذا "وفي الصبح اذا كان (يسوع) راجعاً الى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق فلم يجد فيها شيئاً الا ورقاً فقد

قال لها لا يكن منك ثمر بعد الى الابد فيبست التينة في الحال" متى ٢١: ١٨ – ١٩.

اتسمح ان تقول لي ما معنى ذلك؟ ما هو ذنب شجرة التين؟ واذافة لذلك فانتم تطلقون على عيسى احياناً لفظ الرب. فبدلاً من ان يجعل شجرة التين تجف كان من الاولى ان يجعلها تثمر اليس كذلك؟

يعني الخلاصة انكم حرفتم الانجيل واوصلتموه الى وضع يخالف فطرة وطبيعة الانسان. لا ادري، مرة يقول لا يمكن ان يتزوج الراهب او الراهبة، ومرة يقول ليقلع الناس اعينهم، ومرة يقول ان المرأة لا يمكنها ان تطلق من زوجها (حتى وقع عليها الظلم).

فهل يمكن للذين هدموا دينهم ان يحتملوا وقوف الاسلام قوياً على قدميه؟ بالطبع لم يحتملوا ذلك... واستخدموا كل قوتهم للقضاء على الاسلام، ولكنهم سيرون قريباً جداً ان الدين الاسلامي ليس مغلقاً في داخل المسجد فقط.

أخيراً اصابني الجنون، وصرخت بلا وعي .....

– تكلم انت ايها الاب!!! من فضلك !! لاجل الرب!!!! لاجل كل المقدسات التي تعرفها!

– كنت اتحدث بصعوبة وانا مخنوقة بالبكاء.

– من فضلك قل اي شيء ايها الاب. من فضلك لا احتما!!!

– هذا الفتى لم يكن على غير الحق يا ماريا.

يا إلهي. انني اسمع دوياً في أذني، رأسي تدور!! وعبد الوهاب يجيب بأدب ...

– اشكرك يا سيدي. فالاعتراف بالحق فضيلة.

– كفى، كفى !!! اريد ان استمع الى هرائك هذا !!!! لعنة الله عليك ايها الاب !!! عليك اللعنة !!! خذ هذا الصليب الذي في عنقي، خذه، لا اريد صليبك هذا! فانا لا

اريد ديناً عاجزاً كهذا!!! وبدأت انزل السلم وانا ابكي بحرقة. وكنت اجري الى الشارع بجنون، وكان عبد الوهاب يجري خلفي.

– انتظري يا ماريا. انتظري من فضلك.

– لتذهبوا الى الجحيم! لا اريد ان ارى احداً منكم. لا تتبعني. دعني وشأني!

– انتظري لنتحدث.

– لا يوجد ما نتحدث بشأنه.

– لحظة واحدة....

كان يصيح خلفي. الناس ينظرون الينا. وفي هذه اللحظات دقت الاجراس. فلم استطع منع غيظي ونفوري وصحت قائلة:

– ايها الناس، لا تصدقوا هذه الاجراس!!! هذه الاجراس كاذبة!! انها لا تمثل الانجيل الحقيقي! لا تدقي!!! لا تدقي ايتهاالاجراس! لا لن اصدقكم بعد ذلك! لقد متم او ماتت الكنيسة. قتلتكم في قلبي وقتلت الراهبات والرهبان!!! لا تدقي لا تدقي!!

# اصبحت حائرة تماماً

تجولت في الشوارع وانا في حالة يرثى لها. بقيت مدة لا استطيع تحديد مكاني ولا الشارع الذي اقف فيه. فتكومت وبقيت كما انا. وعندما افقت وجدت عبد الوهاب يقف امامي وينتظرني. امسك بذراعي عاد بي الى حيث سيارتي. ركبت السيارة بصعوبة، فلم اكن قادرة على الامساك بعجلة القيادة. فقال لي عبد الوهاب.

– لو شئت اقود السيارة.

– نعم هذا افضل. هل معك رخصة قيادة؟

– نعم يوجد معي. استخرجتها للظروف.

– الى اين سنذهب؟

– الى اي مكان تريدين.

– أأنت الذي تقول هذا؟

– نعم ولم لا؟

– أين ما كنت تدعيه من بعدك عن النساء؟

– ما زلت هكذا. ولكني الآن لا استطيع ان اتركك وحدك.

– انت سعيد جداً اليس كذلك؟

– ولماذا اكون سعيداً.

– لأي شيء تظن؟ بطبيعة الحال لانك رايتني وانا في حالتي هذه.

– تعرفين يا ماريا انك لو اسلمت ساكون سعيداً بذبك، ولكني لن اكون سعيداً بالتاكيد ان كنت اصبحت ملحدة، فعلى اي حال اسوأ الاديان افضل من الالحاد.

– ايعني ذلك انك تعرض على ان اسلم هكذا فجأة؟

– لا ولكني اريد ان اساعدك في حالة الضيق التي تعيشينها وكذا اريد ان اقوم بواجبي الانساني تجاهك.

– انك انسان طيب ... ولكني لا حيلة لي. لا ادري كيف سيكون حالي فأنا لا يمكنني العودة ابداً الى الكنيسة.

وفجأة بدأ عقلي يتجه وجهة اخرى.

– ام ان الله غير موجود؟

– حاشا لله!! ماذا تقولين؟ ايعقل كلام كهذا؟ وكيف توجدين لو لم يكن الله موجوداً؟

– الا يمكن ان يكون هذا محض صدفة؟

– لا يوجد في الحساب، والرياضيات ما يسمى بالصدفة. انظري مثلاً الاكسجين يوجد في الهواء بنسبة ٢١% فلو زاد قليلاً لاحترقنا، ولو قل لاختنقنا. وليفكر الانسان في مخه مثلاً، فلو تجلطت نقطة من الدم في حجم رأس الدبوس في اي شريان من الشرايين، فان احد اعضاءه يصاب بالشلل او بالالم الشديد. وفي بعض الاحيان يكون انسداد احد الشرايين سبباً لقطع احد الاعضاء. فجسمنا مخلوق بمنتهى الدقة وعلى اكمل وجه. وكانه سلسلة من العمليات الحسابية. فقد تم عمل توازن هذا فقد تم

عمل توازن هذا الجسم بدقة. كم يدرس طبيب العيون مثلا لكي يخصص في هذا المجال؟

– تقريباً ست عشرة أو سبع عشرة سنة.

– هل تتصورين انهم يعملون سنوات عديدة كي يتعلموا طب العيون وخصائصها لاجل ما يحدث بالصدفة؟

– ما اجمل ما قلت.

– وماذا قلت؟

– لا توجد دراسة للصدفة، نعم، فلو كان كل شيء بالصدفة، فماذا تعمل آلاف الكليات إذن؟!

– مرحى لك! لقدا كان تفكيرك في موضعه تماماً. ما اسعد محمد بفتاة مثلك، ينبغي عليه ان يكون سعيداً ارتباطه بفتاة مثلك، فهو حقاً محظوظاً.

– يا الله!! لا ادري كيف ساتصرف مع محمد. ليتك توصلني الى البيت.

– بالطبع بكل سرور. يجب ان تهتمي بنفسك.

– كيف سانجح؟

– في اي شيء.

– في ان اعود الى حيات يالطبيعية. لقد انقلب حالي رأساً على عقب. لقد تركت الكنيسة التي ارتبطت بها لسنوات في ساعة واحدة.

– انك لم تستمعي الى الكنيسة ولكن تم تهيئتك لها بشكل معين.

هل كنت تظنين نفسك فتاة متدينة؟

– ماذا يعني هذا؟ بالطبع كنت متدينة.

– إذن هل كنت تجدين فرقاً بينك وبين الفتيات اللادينيات؟ او دعيني اسالك بشكل آخر، هل كنت تشعرين بفرق بينك وبين اليهوديات أمام الفتيات اللادينيات؟

– يا إلهي ... ليكن ما يكون ... انتهى كل شيء. فقد وصلت الى البيت. لا تؤاخذ امي لو نظرت اليك بعبوس.

– ولم تعبس امك في وجهي ونحن لم نتعرف بعد؟

– امي لا تحب المسلمين ابداً. وتفتخر جداً بكوني مسيحية. فلو انها علمت بحالتي هذه، لقضت الازمة القلبية على هذه المرأة المسكينة. ولن تقبل دخولك الى بيتنا ابداً بعد ذلك.

– لا ضرر .... فنحن على اية حال نعلم كيف ينظرون الينا باشمئزاز ونستطيع التعايش مع ذلك....

كنت قد توقفت عن البكاء ولن عيناي كانت لا تزالان محمرتين ومتورمتين من البكاء.

كان وصولنا الى البيت في الحادية عشرة ليلاً. دخلنا انا وعبد الوهاب، كان ابي وامي يجلسان في الصالون. وعندما رأونا نهض ابي واقفاً وقال:

– أوه ... ابنتي الجميلة، اخيراً حضرتم. مرحباً بكم. أين كنت يا ماريا؟

– تنزهنا قليلاً .... هذا صديقي عبد الوهاب.

– مرحباً سعدت بلقائك. فصديق ابنتي صديقي. تفضلوا بالجلوس.

كان الكرم الذي قابلنا به ابي جميل جداً. ولكن امي لم تنظر الى وجه عبد الوهاب .... وفجأة نظر ابي الى عيني دون ان يحركهما.

– ماريا؟! انك كنت تبكين!

– لا يهم ذلك يا أبي.

– كيف لا يهم؟ ماذا أبكاك؟ اريد ان اعرف حالاً. لا تنسي ان الصحفيات لا يبكين ابداً.

فتدخل عبد الوهاب قائلاً:

– الصحفيات لا يبكين وانما يبكين ...

حاولت ان ابتسم ولكن امي بادرتني قائلة:

– قولي يا ماريا ماذا حدث؟

– لا . لا شيء يا أمي! تضايقت قليلاً.

– هل تضايقت لأجل محمد؟ لا تحزني نفسك إلى هذا الحد. فلا أحد يستحق الحزن عليه لهذا الحد.

– نعم معك الحق يا امي. ولكن ماذا افعل لا استطيع تصور الدنيا بدون محمد؟

– صحيح ! اظنك كنت ستذهبين اليوم الى البابا، فماذا حدث؟ هل ذهبت؟

انحنى ابي نحو اذني ببطء وقال:

– أمك المسكينة ... تظنك مازلت كاثوليكية. مرحى لك يا ابنتي انك تلعبين الدور ببراعة.

بعد قليل قالت امي نفس الشيء لي .... ثم ذهب ابي مع عبد الوهاب الى الصالون الذي يقع في منتطف البيت وذهبت معهمت. وبدأ ابي يتكلم.

– نعم يا عزيزي، من اي البلاد انت؟

– انا مصري يا سيدي.

– اوه مصر ..... أعرف مصر جيداً. فقد عملت هناك لمدة خمس سنوات.

– في اي شيء كنت تعمل يا سيدي؟

– كنت اهتم في شبابي بالبابوية، فارسلتني الكنيسة الى مصر. وكذا فأنا اجيد اللغة العربية.

– ولماذا ارسلتك الكنيسة الى مصر؟

– لنشر الدين المسيحي. مكثت في مصر كل هذه المدة، ولكني لم استطع ان انصر الا خمسة مسلمين. واخيراً شعرت بالضيق. فعدت. ثم ما لبثت ان ابتعدت عن الدين بعد ذلك. بدأت اشعر بأن الاديان نوع من الهراء.

– ليست الاديان كلها هكذا. فعندما تقول الاديان فذلك يشمل الاسلام بالطبع.

– لا فرق .... فالاديان كلها واحدة.

– لا هناك فرق كبير. فالاديان الاخرى لا تشبه الاسلام فالدين الاسلامي هو رسالة الله التي لم تفسد.

وفجأة فكرت في تغيير سياق الكلام فقلت:

– عبد الوهاب هل تعلم ان ابي لا ديني، ولا يمكن مناقشة مسألة الدين معه، فدعنا من هذا، واحك لنا عن الموضوع الذي قلته لي اليوم.

– اي موضوع؟

– اليوم قلت لي ان الصدفة لا يمكن دراستها. لقد اعجبتني هذه العبارة جداً.

– ماريا: اظنك تكوني سعيدة عندما تظهرينني بلا دين. لا تقولي بلا دين يا ابنتي ولكن قولي ملحد. ثم ان اللادينية ليست عيباً.

– ولم يا ابي؟ سواء قلت بلا دين، او ملحد فما الفرق بينهما؟ اليسا نفس الشيء؟

– نعم نفس الشيء ولكن تأثيرهما مختلف. فاذا قلت للناس "أنا بلا دين" فإنهم يشعرون بالاشمئزاز، أما اذا قلت لهم "أنا ملحد" فإنهم يرون ذلك على انه وجهة نظر حديثة. ولذا فإننا لا نستعمل كلمة "لاديني" ونستعمل بدلاً منها كلمة "ملحد"او ديمقراطي علماني.

– ايعني هذا ان كل ديمقراطي علماني يكون ملحداً؟

– بعضهم يدعون حب الدين، ولكن المهم هل الدين يحبهم؟

– دعنا من هذا .... وليتك تحدثنا عن مسألة الصدفة تلك ... فربما يؤمن أبي بالله.

– يا ابنتي انا اؤمن بان هناك خالق ولكن هل اسمه الله ام لا ، لا ادري؟

– انتظري يا ماريا انا اريد ان اجيب على والدك ... هلا قلت لي كيف وعلى اي اساس تؤمن بوجود خالق؟

– لا ادري ... هناك خالق ... انظر مثلاً حتى النحل، هذا المخلوق الصغير يقوم بعمله بعلم تام. وكذلك اسرار الفضاء التي تدل بالقطع على وجود الله. نعم يوجد اله. لقد قال لنا مدرس الاحياء: انه لو امكن فرد خلايا الرئتين فانها ستغطي مساحة اربعة وثمانين متراً مربعاً.

بمعنى انه يساوي مساحة شقة تقريباً. فالرب ذو علم ومتقن لصنعته؟ لدرجه انه وضع في الرئة خلايا تكفي لفرش هذه المساحة الكبيرة. وانا افكر دائماً في هذا الامر واجد انه لا يمكن ان يحدث بلا مبدع.

دهشنا عندما استمعنا الى ابي وهو يقول هذا الكلام. واول من اظهر دهشته كان عبد الوهاب.

– يا إلهي ما أجمل حديثك. وكيف يكون انسان مثلك ملحد ولديه هذه القدرة الفائقة على المعرفة. فانت بعد ان وصلت الى هذا المستوى من التفكير ....

– اهاجت هذه الكلمات ابي . فاستمر قائلاً:

– وهل هذا شيء؟ لو اني شرحت لكم خصائص الكلية لتوقف عقلكم من شدة الانبهار.

– من فضلك احك لنا يا أبي. ان سماعي لمثل هذه الاشياء منك تجعلني في غاية السرور.

– استمعي، اعلمي ان اباك لم يصبح ملحداً بغير علم.

انظروا على سبيل المثال. يوجد في كل كلية من كليتانا ملايين الخلايا. وتتم تنقية الدم بمروره من ملايين الخلايا. فمن الذي ابده هذه الخلايا؟ ولماذا؟ نعم هذا في غاية الاهمية. من أين للطبيعة ان تعرف مثل هذه الوظائف؟ وكيف يمكنها التفكير في ذلك؟ والدم الذي يتم تنقيته في الكلية هو الدم الذي يذهب الى جميع اجزاء الجسم. وفي الكلية يتم تنقية ما يتراوح بين مائة وسبعين الى مائة وثمانين لتراً من الدم. فهذه الاعضاء ليس لها عقل تحدد به ما يفيدها وما يضرها. ولكنها جميعاً تقوم بمهامها وكأنها سلسلة من الاوامر المرتبطة ببعضها. ولو تخلت احداها عن وظيفتها لانتهت حياتنا فوراً.

مخ الانسان مثلاً تتم دراسته على مر العصور. فلو كان المخ يعمل بارادته وبالصدف، أكان الناس يواجهون بنقص المعلومات المتعلقة به مع ما قاموا به من دراسات مستمرة؟

فلو ان شيئاً ما جعل علماء الطب يفكرون ويدرسون لمدة خمسة قرون وبعد كل هذه الدراسات ثبت اتقان صنعه فإن هذا الشيء لا يمكن أن يكون وليد الصدفة.

يا إلهي! ... ماريا هل أبوك هو الذي يقول هذا؟

– نعم يا أمي ...

– آه لا تضخمي الامر يا عزيزتي. فكل هذا موجود في رأسي منذ زمن ولكني احكيه عندما أنفعل فقط.

– تحير عبد الوهاب ايضاً وسأله:

– كيف اصبحت ملحداً؟ صدقني اني لم اكن لاستطيع ان اشرح هذا الموضوع كما شرحته انت.

– ان ما يضايقني اني لا استطيع تصور نفسي بدون اله. وكل ما يوجد في الكون يثبت هذا الشعور. ولذلك ظلت فكرة الخالق موجودة في رأسي ولم أتخلص منها. ولكني مع ذلك أجد نفسي مع الملحدين الذين لا إله لهم.

– لا يوجد احد بلا إله. لذا فان استعمال ألفاظ كبلا رب، أو بلا إله تعد حراماً في عقيدتما.

– ماذا يعني هذا؟ أإذا كان الانسان لا يؤمن بالله لا يقال له "بلا إله".

– لا يقال له ذلك. لأن إلهه موجود. ولكنه لا يؤمن به. فكونه لا يؤمن بالله لا يدل على أنه خلق بلا إله.

استمرت هذه المناقشات لساعات عديدة. وكان ابي يلقن عبد الوهاب بعض العبارات كقوله "إنك شاب، فدعك من الارتباط بالدين وعش حياتك كما شئت" إلا أن عبد الوهاب كان يجيبه قائلاً "إنك تقول إن الخالق واسع العلم والمعرفة، ألا تتصور ان الخالق الذي اهتم حتى بأماكن خروج الفضلات من البشر والحيوانات قد ارسل اليهم مرشداً ونظاماً ليتبعوه. فالله هو القادر والخالق. ألا يعلمنا من أين جاء بنا وإلى أين يكون مصيرنا؟ والخالق الذي اختار لنا هذا الكوكب لنعيش عليه من بين ملايين الكواكب التي تملأ هذا الفضاء العظيم الشاسع ألا يقول لنا لماذا جاء بنا إلى هنا؟

وكان أبي يقول مازحاً: "إني أخشى هذا الشاب إنه يستطيع أن يضلني عن طريقي" ولم يتطرق أبي إلى الموضوعات المتعلقة بالدين مرة أخرى.

في تلك الليلة لم يترك أبي عبد الوهاب. وبات عندنا وذهب كل منا إلى غرفته.

بكيت كثيراً في تلك الليلة.

– "حبيبي محمد ... حياتي لا يمكن أن تستمر بدونك ... ماذا لو جئت ... فأنا لم أعد كاثوليكية" ظللت أردد هذه العبارة حتى غلبني النوم. وفي الساعات الاولى من الصباح شعرت بتعب شديد بسبب ما كنت احسه من جوع. لم آكل أي شيء منذ صباح أمس. لقد تغيرت حياتي في يوم واحد بسرعة شديدة. وعند نزولي إلى الطابق السفلي، وياللعجب وجدت عبد الوهاب قد استيقظ وبدأ يقرأ شيئاً من.

– صباح الخير ماذا تفعل؟

– أقرأ بعض الأدعية. أديت الصلاة. وأقوم بمناجاة الله.

– وأنا سأتناول طعامي. أو بالأصح سأشرب الشاي فقط، هل تشرب معي الشاي؟

– لا، سأتناول الفطور مع أبيك.

– إذن سأجلس إلى جوارك وأنا أتناول فطوري، أريد أن أتكلم معك، فانا اشعر بالاختناق.

– في هذا لاوقت من الصباح؟

– ولم لا؟ ما دمت تتحدث مع الله في هذا الوقت فتحدث معي أيضاً. وسيحبك الله لأنك فعلت خيراً.

– لا يا ماريا! لا تنتظري منى اهتماماً كبيراً بك. وإن كانت عندك أي أسئلة أرسليها إلي في خطاب.

– مرة أخرى نفس الهراء. نعم أقسم أنك تخشاني. يا إلهي ألا تصدقني؟ إن عيني لا ترى أحداً غير محمد.

– ممكن.

– آه ماذا تعني بهذه الكلمة؟

– لا تنسى، أنا لا اهتم بعينيك.

– إذن فانت لا تثق في عينيك.

– إن حديثنا في مثل هذه الاشياء يحزنني. من فضلك يا ماريا ... افهميني فأنا اتصرف الآن مخالفاً لما أؤمن به. وبالاضافة إلى ذلك فإن خطيبتي سلوى لو رأتنا هكذا، فلن تسانحني.

– آه أهي غير متفاهمة لهذا الحد؟

– لا، هي تحبني جداً، والمحب يغار على من يحبه، ولكن الحضارة الغربية تظهر الغيرة وكأنها عيب، وفعل يدل على النقص. هكذا امتلأت الدنيا بالقرون والأذناب، حتى أن الرؤوس أصبحت لا ترى فيها!!

# كل دقيقة تمر كأنها رصاصة

– أنا لا أفهمك. أنا فقط أريد أن أبثك أحزاني. لأني لو أبحت بأحزاني هذه لاصدقائي لسخروا مني. وانت ايضاً تفعل نفس الشيء.

– ما يمكنني ان افعل من اجلك يا آنسة ماريا؟

– إنظر، بدأت تتحدث معي مرة اخرى بشكل رسمي.

– ولكنك حيرتني. ففجأة تتكلمين معي وكأن بيننا صداقة ممتدة لعشرات السنين. لقد\ أثرت في حالتك النفسية التي مررت بها فقط.

– ولكني أشعر أنك قريب مني جداً. وأقول لك بمنتهى الصدق. ومن كل أعماقي انك اقرب لي من جميع اصدقائي، أما أنت فتستكثر علي حتى أن تشاركني في تناول الفطور. كيف تكون هذه صداقة؟

– لا يمكنك ادراك الامر يا ماريا. وها انت تتناولين فطورك امامي لم لا تحترمين اسلوبي في الحياة؟

ياللعجب انك لانسان غريب. فانا لم ألتهمك!! هلا حدثتني عن محمد؟ أترى أن محمد سيتزوجني؟

لا أدري، فلو ان كل عاشق يقول "احب وسأموت من الحب" مات بالفعل لما بقى أحد على وجه الارض.

– طيب، لو كان محمد فهل تتزوجني؟

– حسبي الله ... ما هذا السؤال يا ماريا؟

– أقول مثلاً يا عزيزي .... أم أن مثلاً هذه ذنب؟

– ماريا، أرى أن الحديث معي بدون تكليف ليس أمراً حسناً. فلا يجب ان تسأل فتاة شاباً مثل سؤالك هذا.

غضبت جداً وقلت:

– يا إلهي، الغوث ... إنك تتمادى في الامر! وماذا في سؤالي هذا؟ لا أدري، أم أنك تخشى من أن تحبني؟

– لا يمكنك أن تفهميني... فهذا ليس خوفاً من أن أحبك ... ولكن لأنه يخالف ما أؤمن به، وأعتقده وأنا لا أقع في حب أحد أصلاً. ولن أغير شكل حياتي، فلي حبيبة كما تعلمين هي سلوى. ولا يمكن ان اتورط في خيانة لها ولو بسيطة،؟ كما أني لا يمكن أن أغدر بسلوى. فهي كل شيء بالنسبة لي.

– ما أجمل الحب .... ماذا لو أن محمداً كان يحبني هكذا! ... إني أغبط حبيبتك. هلا حكيت لي كيف تعرفت على سلوى؟ فأنت تقول عنها "خطيبتي" "مرتبط بها" لا أفهم ما تقوله فهو غير واضح، ولكني عندي فضول لمعرفة كيفية تعرفك عليها.

– في الاسلام الارتباط والخطبة يعنيان شيئاً واحداً.... أما بخصوص كيفية تعرفي عليها فسأحكي لك ولكن بشرط أن نكون أكثر حرصاً في علاقتنا بعد ذلك. اتفقنا؟

– وستكون علاقتك بي مقصورة على الخطابات فقط....

– لا تفعل ذلك يا عبد الوهاب! فماذا يحدث لو جئتك عندما أشعر بالضيق فالحديث معك يشعرني بالراحة. افهمني بالله عليك. فأنا اشعر بالوحدة في هذه الدنيا.

– أفهم أنك في موقف صعب.

– اشكرك على هذا التفكير الرقيق. هيا احك لي عن سلوى.

– الحقيقة أنني أشعر بالسعادة حينما أتحدث عنها. وما دمت تريدين ذلك فسأحكي لك.

كنت في ذلك الوقت لا اعي معنى الدين. وكنت مهتم بثقافة الانجليز الذين يحتلون بلادنا، وكنت افكر مثلهم والهو مثلهم تماماً. حتى انني كنت اشعر بعقدة من موسيقانا، واخجل من كوني مسلماً. وكل ما ترينه طبيعياً الآن كنت ايضاً اراه هكذا في ذلك الوقت. كان يوجد في حياتي كل شيء، الخمر، حياة الغواني. وحدث ما حدث لي من تغيير يوم أن رأيتها. لقد كانت محجبة بشكل جميل. كنا أنا وفتاتان وثلاثة أصدقاء نلهو على البحر. وخلفنا نصبت عائلة سلوى خيمة ليستريحوا فيها. كنا نرى سلوى التي كانت تمر بجانبنا كي تأخذ بعض الماء. كنا نتهامس عليها ونسخر منها. لقد عودتنا الثقافة الانجليزية على ذلك، لقد خدرتنا هذه الثقافة لدرجة جعلتنا نهزأ من إخواننا في الدين، ونصفق لمن يعيشون حياة الانجليز على أنهم أصحاب الوجهة التقدمية.... لقد وصل الشباب المسلم إلى درجة مخيفة ... أما هم فإنهم ينسفون فكر المسلمين وهم في أماكنهم.

في ذلك اليوم ذهبت سلوى مرة أخرى لتأخذ الماء ... ومرت بجوارنا. قررنا أنا وجميلة ونوفا. وصديقي محمد أن نعاكسها عند عودتها. وقررت أنا القيام بهذه المهمة. وعند مرورها بجوارنا ناديت عليها قائلاً:

– هل يمكن ان تعطينا بعض الماء ايتها الجدة؟

أجابت بدون تفكير:

– نعم بالطبع ناولني وعاءاً اعطيك فيه.

– هل تشعرين بالسعادة عندما تسقين الناس؟

– لا، لا أشعر بسعادة كبيرة عندما اسقي الناس، لان الناس عندما يشعرون بالعطش يبحثون عن الماء ويجدونه. ولكن الحيوانات ليست كذلك ولذا فأنا اشعر بسعادة غامرة عندما اسقي الحيوانات.

غضبنا جميعاً وقلنا:

– ماذا يعني ذلك، اتجعلينا حيوانات؟

– لا يا بني. ولكن لأني جدة فعيناي لا تستطيعان التمييز. هل يوجد بجوارك حيوان؟

– إنك أخرجت الماء الذي اعطيتنا من انوفنا، اهكذا تشوهين ما تمنحين للناس.

– لا يمكن ابداً ان اشوه ما امنحه للناس من خير ولكن حبذا لو كان باطن الشخص الذي امامي يدل كظاهره على انه انسان.

وهنا ظننت انهم فجروا راسي بقنبلة ... ثم قالت لنا "طاب نهاركم" وانصرفت. فتأثرت جميلة جداً وقالت:

– كيف تهيننا وتغلبنا فتاة لعوب كهذه؟

لقد اهنت جميلة امام الشباب ونحن ايضاص اهانتنا امام الفتيات. فسرنا نحو خيمتهم آملين في ان نقول لها اي شيء نفرغ به شحنة غضبنا. فظهرت امامنا.

وقالت ماذا تريدون، اتريدون تبناً؟ فغضبنا جداً، وقلت لها:

– انتبهي! ماذا تظنين نفسك؟

– انا لا اظن نفسي شيئاً، وانما انا انسانة. وبالاحرى انسانة مسلمة. مسلمة شريفة لدرجة اني لا اقلد المستعمر الظالم الغاصب الذي لا يحترم عقيدتي وايماني، عاداتي وتقاليدي، ووطني.

– وماذا نكون نحن؟ هل نحن كفار؟

– أولاًكونوا بشراً. ثم نناقش هذا الموضوع بعد ذلك.

– من تكوني انت حتى تحقرينا هكذا؟

– ومن تكونون انتم لكي تسخروا مني لعدة ايام. إنكم تتشبهون بالانجليز الذين يغتصبون وطنكم، وشرفكم، وفعلتم معي ما فعلتم فقط لأني مسلمة، أبعد ذلك يقال لكم بشر؟ لا يمكن ان تكون الانسانية حقيرة لهذه الدرجة. أهناك ما تريدون قوله غير ذلك؟

احترنا ماذا نقول، ولكني تكلمت رغماً عني قائلاً.

– أنت فهمتي مقصدنا بشكل خاطئ.

– لا أظنكم تملكون الشخصية التي تستطيعون بها ادانة اعتقادي.

هيا اذهبوا وابحثوا لانفسكم عن مكان مناسب في مزارع الانجليز.

يا إلهي، يا لها من فتاة، لقد غمستنا في الوحل ولم تخرجنا منه.

اكثر من شعرت فينا بالغضب كانت جميلة. فعادت باكية وكانت تردد:

– هلا قلتم لي؟ ألم يدخل الانجليز الى بلدنا عنوة؟ الم يبعدونا عن ديننا ويعطوننا زجاجات البيرة والويسكي باسم الحضارة والعصرية. فلم نحتقر هذه الفتاة؟ ما الفرق بيننا وبين الحيوانات؟ لقد ظللنا نسخر منها لعدة ايام، وكنا نظنها لا تفهمنا. انني اخجل من نفسي. انظروا الى حالنا؟ فكلنا نرتدي "البلوجينز" .. فهل نحن ..؟

وراحت تجهش بالبكاء قائلة:

– يارب! اغفر لنا .... وقربنا إليك. اريد ان اكون كهذه الفتاة، يارب اجعلني مثلها. اشعر بالغثيان من هذه الحضارة ... أريد الخلاص. أنقذوني!!! أنقذوني.

صدمنا جميعاً. كان لصوت جميلة صدى يتردد في الهواء، وفجأة نظرت فوجدت سلوى تأتي ناحيتنا، لقد سمعت جميلة، فجاءت فوراً وتعلقت بعنقها ... كانتا تبكيان كلتاهما ... لقد مللت صوت سلوى المليء بالحزن على روحي وهي تقول:

– هل فرقوا بيننا يا اختاه لهذا الحد؟ هل تلاعبوا بنا يا عزيزتي. لا تحزني ابداً يا اختي الحبيبة. فبعد ذلك سنتغير كثيراً ونجدد روابط الاخوة بيننا، ونرتبط ببعضنا بروح دافئة جداً.

التقت عيناي لاول مرة بعيني سلوى حينما كانت تعانق جميلة.

يا إلهي ما اجمل عيونها ... كانت عيونها جادة وقورة، ومليئة بالمعرفة. وعلى الفور حولت عينيها عني ... ولكن عيني وروحي لم تبتعدا عنها بعد ذلك. وبدأت اتعقب سلوى صاحبة المعرفة المحيرة التي تتحدث بثقة عجيبة، كان اول ما فعلته في ذلك اليوم ان تركت شرب الخمر، وبدأت في أداء الصلاة وكذلك قراءة الكتب الدينية. واصبحت اشبه الشباب المسلم. وكذلك جميلة فقد تأثرت جداً بالكلام الذي سمعته في ذلك اليوم. فاصبحت هي الاخرى فتاة متدينة جداً ... وارتدت الحجاب، وبدأة القراءة في الكتب الدينية ... واصبحت صديقة لسلوى. اما انا فكنت امر يومياً من امام بيت سلوى. ولكني لم اتمكن من رؤيتها لمدة ثلاثة اشهر. كنت احترق واتالم لذلك. وفي يوم ما رايتها وهي تخرج من احد المحلات في القاهرة. فاسرعت اليها قائلاً

– مرحباً يا سلوى، انا عبد الوهاب هل تتذكريني؟

– هل تريد ان تسألني شيء؟

– أنا !...أنا! أنا أصبحت مسلماً. لقد تأثرت بما قلته في ذلك اليوم جداً.

– أنا سعيدة بذلك. تقبل الله منك.

– ألا تصدقيني؟

– ليس تصديقي شرطاً لدخولك الاسلام. فحتى لو لم أصدقك، فليس هذا مهماً. فالله يرى ويعلم. وهذا هو المهم. فلا تهتم بأن يصدق البشر إيمانك، وليكن هدفك الاول هو ارضاء الله. فان اعجبت العبد او لم تعجبه، صدقك أم لا، فلا تحزن.

دخلت في الموضوع مباشرة.

– سلوى، هل تقبلين الزواج مني؟

– لا ادري كيف قلت ذلك. وبعد ان توقفت للحظة قالت:

– ان ما يشترى من الشارع اشياء كالبطاطس، والبصل، ولست انا. ماذا دهاك اتريد ان تشبهني بهم.

قالت ذلك وذهبت. حاولت شهوراً أن اتقرب اليها. واخيراً ارسلت عائلتي كي يطلبوا يدها لي. فوافقت. ووافقت اسرتها. وقرأنا الفاتحة على ذلك. اما انا فقد اصبحت شاباً مسلماً. وشاء القدر أن آتي إلى هنا كي أدرس. وباذن الله ننوي الزواج بمجرد عودتي. هكذا تعرفت عليها. وبعد ذلك، أحبتني، وأعجبت جداً بعزيمتي.

تأثرت جداً بهذه القصة. فهذا يعني ان من بين الفتيات المتدينات من هن على علم. فلماذا نظن الفتيات المتدينات أغبياء وعاجزات؟

# بعد خمسة ايام

كنت اذهب الى كليتي ولكني لا استطيع استيعاب الدروس، ماذا سافعل مع محمد؟ وماذا عن امي؟ اما انا فقد تركت ديني. لمن استطيع ان احكي مشكلتي؟ حتى عبد الوهاب يتهرب من ان يكون صديقاً حميماً لي ... ماذا يحدث لو يسمعني او يخبرني شيئاً عن محمد، او يقول لي كيف اتصرف معه؟

تعال يا محمد. ماذا لو لم تأت. لا استطيع تحمل الحياة بدونك.

بحثت عن عبد الوهاب في ذلك اليوم ولكنه لم يأت الى الكلية. رأيت احد اصدقائه فسألته عنه فقال لي:

– لقد كان يبكي كثيراً بالامس. ولم يذكر سبب بكائه. وأظنه لم يأت اليوم لهذا السبب.

– حزنت كثيراً لذلك. من الضروري جداً أن اجده واعرف السبب وليكن ما يكون. كنت افكر طول الطريق وانا ذاهبة اليه.

" ماذا حدث لعبد الوهاب ..... أم ان هذا الشاب يحبني؟ يا إلهي ما لي وهذا الهراء ... إنه يحب سلوى وأنا أحب محمد. فلم افكر اذن في مثل هذا الكلام الفارغ".

أخيراً وصلت الى البانسيون الذي يقيم فيه. اخبرته صاحبة البانسيون بحضوري. اما انا فكنت انتظر في قاعة الانتظار. حضر عبد الوهاب. يا الهي ما هذا الشحوب، هذا الشاب كأنه ميت وجهه مصفر تماماً. وقفت فجأة وقلت:

– ماذا حدث يا عبد الوهاب؟

– لا تسألي عن شيء يا ماريا.

– قل لي بالله عليك ماذا حدث؟

– تحطمت الدنيا يا ماريا. تحطمت تماماً.

– ماذا حدث؟

كان لا يستطيع الكلام من شدة البكاء.

– لا ... لا تسألي إن حالتي لا تساعدني على الكلام.

– لا تدعني هكذا فغموضك وحالتك هذه تجنني. ماذا لو اخبرتني بما حدث. فنحن اصدقاء بل اخوة. لم لا تخبرني؟

– سلوى!

– ماذا حدث لسلوى؟ هل تزوجت بآخر؟

– سلوى حبيبتي. روحي وحياتي سلوى!

– ماذا حدث لها؟ هل ماتت؟

– نعم ماتت سلوى! ... قتلوها بالتعذيب!! حدث لها نزيف داخلي.

– من الذي فعل بها ذلك؟

– الانجليز الكلاب! ادعوا انها تتبع التنظيم الاسلامي، وسألوها "ماذا تعرفين عنه" وأبقوها تحت التحفظ لمدة ثلاثة شهور. وكانت تتعرض للتعذيب يومياًز ثم اخرجوها

واعادوها بعد شهر ... والمسئولون المصريون لم يسمعوا لشكواها فمعظمهم يفكر بعقلية المحتل الانجليزي.

وهكذا ذهبت! ... ذهبت سلوى حبيبتي!! ذهبت روحي، وقلبي! ولن اراها حتى اقابلها هناك.

– أين ستلقاها؟

– هناك.

– هناك اين؟

– في العالم الآخر ... العالم الذي ستذهب اليه بمجرد ان نغلق اعيننا.

– ياه ايعني هذا انك ستقابلها هناك؟ ما اجمل هذا الامر. ولكن هل يمكنك ان تتزوجها هناك؟

– نعم بالطبع. يكفي ان اكون ممن يدخلون الجنة. ان هذا هو عزائي الوحيد. فماذا افعل لو لم يكن هناك احتمال لرؤيتها؟

حاولت ان اعزيه. ولكن دموعه كانت لا تتوقف. حتى أني كنت ابكي لبكائه. لم يكن يصغي لعزائي. إن البكاء من الاعماق يعتبر عزاءاً ظاهرياً. وهكذا ذابت كلماتي مع دموعه الغزيرة.

# لا تجعلني انتظر يا محمد

مرت شهور بعد ذلك لم يأت محمد ... كنت اكتب له كل يوم، وهو يجيب على رسائلي. ولكني اشتقت اليه جداً. لم اكن استطيع التعود على غيابه ابداً ... أما امي فكانت تظنني مازلت مسيحية.

ولكني لست مسيحية، ولا مسلمة ايضاً. واعيش في حالة من الضيق المتوالي، ولكني لا استطيع نسيان محمد.

حصلت على شهادتي الجامعية. وتعلمت اللغة التركية جيداً. فحتى لو لم يأت محمد الى هنا فساجده انا في تركيا. ربما اصبح مسلمة فقد بدأت احب الاسلام بالفعل.

ابي يقول لي:

"ان مكان عملك هو استانبول" سأوافيهم بمعلومات مفيدة. اما عبد الوهاب فهو على نفس الحالة، وعندما اذهب اليه لا يقابلني بترحاب. لا افهم لماذا يعاملني بهذا الشكل. مع اني احبه كأخ .... حتى الآن هذا الفتى ما زال يردد اسم سلوى. فانا اشعر به جداً واقدر حالته. فماذا عساي اصنع لو مات محمد؟! ما اجمل الرسائل التي التي يكتبها الي. انه يقول "ان هذه البلد بالنسبة لي ظلام بدونك" ويريد ان يتزوجني في بلده.

كتبت له إنني لم اعد كاثوليكية، وتركت الكنيسة. لقد سعدت بذلك جداً .... وكان يقول لي في كل خطاب "أهنئك على ذلك". آه لو يمكنني أن اصبح مسلمة. ولكن هذا ليس أمراً سهلاً.

في احدى عطلات ايام الاحد شعرت بالضيق الشديد. فذهبت إلى عبد الوهاب. وكنت اراه عندما تسنح الفرصة. فلما رآني قال:

– ماذا حدث ثانية يا ماريا؟

– جئت لأراك؟

– لماذا تريدين رؤيتي؟

– يا إلهي، إنك إنسان بلا شعور ...

– ماريا انا لا اريد ان اراك.

– ولكني احتاج اليك. ماذا لو تكتب خطاباً لمحمد تقول له فيه "تعال فماريا ستموت من شوقها اليك" لقد اتعبني وازهق روحي ببعده عني.

– كفى يا ماريا لقد سئمت منك ومن محمد ايضاً. لم لا تتركيني وحالي؟ الم اقل لك في الاسبوع الماضي الا تاتي الي ثانية؟

– ألهذا الحد يكون المسلم جافاً؟ أنا على وشك أن اسلم ولكنك بتصرفاتك هذه تبعدني عن الاسلام.

– كوني كما شئت فانا لا احتمل رؤيتك ابداً. فأنت أولاً وأخيراً ستصبحين مسلمة. أنا واثق من ذلك جداً.

– ليس الامر هكذا، من اين لك بهذا الكلام؟

– كل انسان عاقل لابد له ان يعود الى الاسلام. وانت عاقلة ... فماذا ستفعلين؟ ام انك ستعيشين في العالم الذي خلقه الله دون ان تعلمي عنه شيئاً؟

– إن موقفك هذا هو موقف المحب يا عبد الوهاب. أم أنك تحبني؟

ياللعجب! مالي اقول كلاماً غريباً. فأنت كنت تحب سلوى....

لا استطيع التعبير عما اريد. انت لا تفكر فقط في الذنب الذي ترتكبه بحديثك معي. لانك عندما تراني تثور بشكل غير طبيعي. فمع من إذن اقتسم احزاني. اعلم ان احزاني ليست قليلة وانما هي كثيرة جداً.

– ارتكيني كي استريح واشك احزانك لمن شئت.

– وفجأة صرخ واقفاً. لاول مرة كان ينظر الى عيني بدقة، وقال:

– وأنا لمن أشكو همومي؟ هلا قلت لي يا ماريا ماذا افعل؟ هل انا مضطر لسماع حكاياتك عن محمد في هذه الايام الحزينة التي اعيشها؟ اتعلمين انني في الوقت الذي احتاج فيه الى انسان لاحبه، تاتين الي بهذا الحب الذي انشده وتضعينني في مأزق؟

– يا الهي ما هذا الهراء الذي تقوله، انك كنت تحب سلوى!

– ومازلت احبها. هي مازالت روحي. ولكن لا تنسي يا ماريا، ان الذين يحبون الموتى لا يصيرون أمواتاً، ولا يكتب عليهم الا يحبوا مرة اخرى .... ولكنهم سيشعرون بالحب في يوم ما. ويمكنهم ان يحبوا من جديد. هذه هي الدنيا يا ماريا. فالمحب لا يموت مع من احب. اذهبي من امامي الآن يا ماريا. فلقد تعودت عليك جداً. اللعنة على عقلي هذا، فهو لا يساعدني. ولا تظهري امامي مرة اخرى حتى اتزوج بفتاة، اي فتاة.

– آه، انك بالفعل قد اصابتك لوثة. فانت تعلم اني احب محمداً وانت انسان مسلم.

– حسناً، ولأني مسلم اقول لمن يحبها محمد، ابتعدي عن طريقي.

اما عن حبك لمحمد، فهل حرضتك ابداً على الا تحبينه؟ اذهبي ايتها الفتاة. احبي من شئت. ولكن لا تتعبينني اكثر من ذلك. فنحن مسلمون، ولكنا لسنا حجارة على اية حال. ونحن يمكننا التحكم في تصرفاتنا ولكن لا يمكننا التحكم في قلوبنا في كل الاوقات ايكفيك هذا؟ اكثر من هذا لا يقال الا لمجنون.

– اذلك يعني انك تحبني؟

– لا ولكني اشعر انك قريبة مني. وافعل ما يلزم كي لا يتمادى قلبي في الامر.

– هراء ... فانا اشعر بانك قريب مني ولكني لا اهرب منك.

– لا داعي لان تهربي.

– ماذا تعني بذلك؟

ماريا، الا تفهمي مغزى الكلام؟ لا اريد ان اراك. واذا احسست بالحاجة اليك سارسل لك خطاباً.

– هل انت جاد فيما تقول.

– نعم

– ولكني لا استطيع تحمل عدم رؤيتك.

– ولم لا تتحملي؟ أنت الآن في حاجة للحب. وتملأين الفراغ الذي بداخلك باقامة علاقة معي. وعندما تقابلين محمد سيذهب كل هذا ادراج الرياح.

– ياه ... أهذا هو كل شيء؟

– نعم ... هذا هو كل شيء.

– لقد جعلتني ابتعد عن ديني وعقيدتي. فعلى الاقل كان يجب عليك ان تعلمني الاسلام. فانا غير سعيدة بحياتي هذه فانا الآن بلا دين.

– ماريا! ارجوك لا تحاولي التأثير علي. ساجد لك فتاة مسلمة لتساعدك على تعلم الاسلام. فانا علمتك خلال الشهور الماضية اهم امور الدين. اما الباقي فيمكنك ان تتعلميه من غيري. واذا اسلمت في يوم ما فاكتبي الي بهذه البشرى.

– آه ما هذه الصعوبة التي تضعها امامي، لا يخلق هذه الصعوبات الا مجنون. عندما اسلم ابشرك بذلك. ولماذا اضيع الوقت في كتابة الخطاب.

– آه يا ربي! كيف تعلقت بهذه الفتاة؟! ماريا ... أنت لا تفهميني لا تفهميني انا مسلم. فانا ان حافظت على احكام الشريعة فستحافظ الشريعة علي ايضاً. فعدم

ارتكاب الذنب لا يكون الا بعد الاقتراب منه. وانت بالنسبة لي كالذنب ... لذلك لا اريد الاقتراب منك ... وان اردت وضوحاً اكثر اقول لك اني ارى فيك روح سلوى.

– مادام الامر كذلك فانا ذاهبة. ولا داعي لان ترتكب ذنباً آخر. فأنا الذي اخطأت من البداية ورأيتك كجزء مني ، وأحببتك.

عند ذهابي كانت عيناه مغرورقتين بالدموع. ولما رأيت دموع عينيه قلت في نفسي لو لم اكن قد احببت محمداً، كان يمكنني ان احبه، بل إني احبه بالفعل. خرجت من عنده، ولما هممت بركوب سيارتي، اقترب مني وقال:

– لا تؤاخذيني يا ماريا. وسامحيني على غلطتي. ولا تترددي في ان تكوني مسلمة؟ وسأعطيك تنازل للمرة الاخيرة. عندما تسلمين تعالي وبشريني بذلك.

– شكراً لك.

– سامحيني لأنني أحزنتك.

– نعم أحزنتني جداً... لقد حطمت قلبي ودنياي؟

– ألأنك تعودت علي تقولين أني حطمت قلبك ودنياك؟

– لا، لقد حطمت قلبي لأنك لا تريد رؤيتي مرة اخرى.

– ياه ... هل تألمت لهذه الدرجة يا ماريا. صدقيني لم اكن اقصد ذلك ولكن قلبي ايضاً حطمته الآلام والأحزان. آه قبل ان انسى اريد ان ابلغك شيئاً. أتتذكرين الأب الذي اخذتني إليه؟

– نعم، ماذا حدث له؟

– لقد أسلم!

– ماذا؟!

– نعم لقد أسلم. حضر إلي ولما رآني قبل جبهتي لأني كنت السبب.

– يا إلهي لو سمعت أمي بذلك لماتت كمداً وحسرة. ولو سمع محمد بذلك لفرح جداً ... والحق أنني ايضاً سعدت جداً.

– وأنا سعيد لسعادتك. بل إن سعادتي غامرة....

لم اكن اريد ادارة محرك سيارتي. تعودت على عبد الوهاب جداً. ولكنه بدا غليظاً مرة اخرى فجأة حينما قال:

– اذهبي يا ماريا.

– بشرط الا تراني مرة اخرى اليس كذلك؟

– مع الاسف، نعم.

– ولكن كيف هذا؟ فأنا إن لم أرك .....

– يكفي اذهبي من فضلك ... وأتمنى من الله ان تصبحي مسلمة بحق. كنت اود ان اطيل الحديث معه فقلت:

– ألا يكون كل مسلم، ملماً بحق؟

– لا بالطبع فكثير من المسلمين اليوم يتكلمون كلاماً جميلاً عن الاسلام، فنحن نتكلم عما يأمرنا الاسلام تماماً. ولكننا لا نعيش ولا نتصرف كما يأمرنا الاسلام. ولا تنسي يا ماريا ان المؤمنين اخوة. ودعك مما يقوله بعض المتعصبين ان الاخوة هم من ينتمون الى جماعة دينية واحدة. وان اسلمت في يوم ما فاحذري ان تفكري بهذا الشكل او ان تكوني ممن يقولون ذلك. فهؤلاء انانيون يعتبرون من لا ينتسب الى

جماعتهم كافراً. ربما لا اراك مرة اخرى فلا تنسي نصيحتي هذه ابداً ... وليكن هدفك هو مرضاة الله، ولا تهتمي بشيء بعد ذلك مهما قال عنك الآخرون .... لا تنسي ذلك. اتفقنا. عودي إلى الله .... فوجودك في رحاب الاسلام يلائمك جداً... لا تنسي ذلك يا ماريا. عظيظتي! ....

– آه، لقد قلت لي يا عزيزتي ماريا.

– أيمكن أن اقول شيئاً كهذا؟ لقد اخطأت السمع.

– لا لقد قلت ذلك ... قلت عزيزتي ماريا.

– لا تطيلي الحديث. لعلها زلة لسان. هيا اضغطي على بنزين السيارة.

غادرت المكان مضطرة. ولكني ان لم اكن اخطات الرؤية فقد رايته من المرية الجانبية للسيارة وهو يمسح عينيه. فلو كان من الشباب الذين يبغون اللذة الجنسية، لما احب بهذا الشكل. يا الله، لماذا احبني هذا الشاب؟ انه يتألم بلا فائدةّ انا ايذاً احبه. ولكنه يحبني بشكل عجيب انه متيم بي. ما اسوأ الا اراه. يا الله، اين انت يا محمد. تعال بسرعة ... لم يعد هناك داع لمجيئك. فأنا ذاهبة الى تركيا ... انا متعبة جداً .... مرة اخرى عدت الى هذا البيت الممل.

# نصائح أبي

لقد تعجبت جداً من قصة اسلام البابا فحكيت الامر لأبي. فقال:

– ماذا تقولين! أسلم هل جن هذا الرجل؟

– لا أدري يا أبي. أنا أيضاً تعجبت جداً.

– ماذا وجد هذا البابا في الاسلام؟

– لا أدري؟

– فهمت الآن ..... هذا الشاب هو الذي جعله يسلم. فحديثه منطقي مؤثر. حمداً لله انه لم يؤثر فيك يا ابنتي. لكنك على اية حال فتاة عاقلة جداً.

لم يكن ابي قد استوعب هذا الخبر تماماً فعاد الي بعد ان تجول في الصالة وقلب الامر في رأسه وقال:

– انظري يا ماريا. لقد شعرت بالضيق لهذا الخبر. هل يمكنك ان تعرفي لي لماذا صار هذا البابا مسلماً؟

– ولماذا تريدني أن أعرف؟

– اذهبي واسألي هذا الولد المسمى عبد الوهاب.

– أنا لا استطيع الذهاب اليه يا ابي. وأيضاً لا أظنه يعرف فالبابا أخبره بذلك وذهب.

– آه ... أنا أعرف المسلمين جيداً. أتظنين أنهم لن يهتموا بأحد البابوات إذا اسلم؟ هذا غير ممكن. لقد درست طبيعة المسلمين على مر العصور.

– لكن المسلمين الذين عاشوا في العصور الماضية لم يعودوا موجودين ... بمعنى أنهم الآن قليلون جداً.

– يظنون أنفسهم يعرفون كل شيء. نحن لن نبقي أثراً للاسلامفي المستقبل. ولا علم لهؤلاء المجانين بذلك.

– ولكنك تؤمن بالله يا أبي.

– أؤمن، نعم. ولكن هل الدين شرط؟

– مادام الله موجوداً فمن الطبيعي أن يخبر الناس بأوامره، ونواهيه، أليس كذلك؟

– بلى ... المنطق يقول هذا.

– فماذا لو كان الله قد اخبر الناس بهذا عن طريق الاسلام؟

– أوه لا تتعبي نفسك ولا ترهقي ذهنك بهذه الامور، واحذري ان تكوني قد تأثرت أنت أيضاً. حفظك الله ... لقد حزنت جداً على هذا البابا ... فعندما يعلم الناس بهذا الامر سيتأثرون بشكل كبير. وسيكون هذا سبباً في دخول بعضهم الاسلام. سأخبر الجريدة فوراً.

– آه، ولم يا أبي؟

– ستفهمين الآن.

أمر أبي المسئولين في الجريدة أن يكتبوا موضوعاً ويضعوا له هذا العنوان "شعر بضيق شديد" وقال "إن الأموال التي تدفعها الكنيسة غير المسلمون". شعرت بالصدمة من هذا الكلام وقلت:

– لماذا فعلت هذا يا أبي؟

– إن سببه واضح؟ أن الذين يشعرون بالفضول لمعرفة سبب إسلام البابا، ربما يتجهون الى الاسلام لو لم يشبعوا فضولهم، وبهذا نكون قد أجبنا على فضولهم هذا.

– إنك ذكي جداً يا أبي.

– ينبغي علينا أن نكون أذكياء كي نستطيع بناء عالم متحضر ... ها .... لماذا تتهربين من الذهاب الى هذا الشاب لتسألينه عن هذا الموضوع؟

– هو لا يريد رؤيتي.

– عجباً ولم؟ ولكن الحقيقة انني سعدت بذلك. من المحتمل أن يؤثر فيك أيضاً.

ارتدى ابي معطفه وذهب الى عبد الوهاب. وبعد ساعتين عند عودته كان في غاية الغضب. فسألته أمي بالحاح عما حدث فقال:

– لا تسألي يا سيدتي. لقد أسلم البابا. أتعلمين لم أصبح مسلماً؟ أسلم لأن الاسلام موافق للمنطق.

– خنزير!!! ليذهب إلى الجحيم!

– أمي ! لماذا تتطاولين على البابا!

– لم يعد بابا.

– وما الفرق؟ فسيستمر في حياته رجلاً متديناً ومحترماً. وكذلك دون أن يظلم أحداً.

– ماريا، تعالي يا ابنتي فستبدأ رحلتك إلى تركيا. والليلة سأخبرك ببعض مهامك. استأجرت لك شقة في استانبول في حي (لا له لي) وستسكن معك سوزي وهي فتاة تعمل في مستشاريتنا هناك. وأريد منك ان ترسلي أول خبر لك من تركيا. فهناك عمل محجوز لك في اكبر الجرائد الالمانية. وسأعطيك عناوين اصدقائنا في تركيا. ستكوني مستريحة جداً. آه لو تعملين عقلك وتستدرجين اتاتورك. "أعطيك كل ما تشائين. لقد استخدمنا ذكاءنا على مر السنوات، واعطينا القادة الاتراك نساء اصبحن زوجات لهم، وبذلك جعلنا قصورهم تدار حسب ثقافتنا.

– لا تطلب هذا مني يا أبي، فانا سأتزوج محمداً. وعيناي لا ترى سواه.

– بنيتي إن أتاتورك أفضل من محمد هذا عشرات بل مئات المرات. فهو إنسان مثقف، وفي نفس الوقت إنسان وسيم جداً.

– لا فرق بالنسبة لي.

– لا عليك، كوني قريبة منه على اية حال. بحيث تساعدينا في توضيح آرائنا له. ومهمتك الثانية هي ان تقومي بتحديد كل الكتاب المتنورين في تركيا، وان تنظمي معهم لقاءات وتزيدي عدد جمعياتهم.

– ليكن يا أبي، وسوف أهيء لهم الفرص للحصول على جوائز كثيرة أليس كذلك؟ فحتى لو اعطينا احدهم قطعة من الصفيح. تجعله في منتهى السعادة والنشوة.

– مرحى لك يا ابنتي. من الذي قال لك هذا؟ أنا اليس كذلك؟

– بلى يا أبي أنت ... كيف امكنكم أن تحددوا نقاط الضعف في هؤلاء الناس وكيف استطعتم ان تفعلوا ذلك يا ابي؟

– هذا امر غاية في البساطة يا ابنتي. فالناس يحبون الاطراء دائماً واذا لم يكن الامر هكذا، هل كان العديد من الفنانين ينزلون الى الشوارع من اجل ان ينالوا بعض التصفيق؟

– لأجل اي شيء سنعطيهم هذه الجوائز. آسفة من اجل اي شيء سنجعل الآخرين يعطونهم الجوائز يا أبي؟

– آه يا ابنتي، أتظنين أنه لا يوجد سبب. استمعي الى جائزة لمن يزين شرفة منزله، جائزة لمن يتأنق في ملبسه، ... جائزة لمن يحسن الخطابة والكلام المنمق، جائزة لاحسن كاتب، جائزة لمن ذهب الى الكازينو، وكذلك جائزة لمن خلع ملابسه او لمن خلعت ملابسها وتعرت، جائزة لمن يهتم او تهتم بتربية الحيوانات الاليفة في منزلها، جائزة لمن يظهر نجاحاً في تنظيم الاسرة، جائزة لمن كتب شعراً، جائزة لانجح المدرسين. وهكذا يا بنيتي، ماذا تظنين الا توجد ذرائع لمنح الجوائز؟ يكفي ان تحددي الشخص الذي ستمنحينه الجائزة. فجمعيتنا تظهر نجاحاً كبيراً في هذا

الخصوص واستطاعوا استقطاب كل المشهورين بنجاح ساحق. هيا يا ابنتي ... اريد ان اراك صحفية ديمقراطية اجتماعية وابعثي الينا بالاخبار وسترين ... ساجعلك اكبر صحفية في العالم.

– ولو لم استحق ذلك يا أبي؟!

– إذا اصبحت افكارك مثل افكارنا فانك تستحقين هذا بلا شك.

ولا تنسي أبداً انه بدون موافقتنا لا يمكن لصحفي ان يكبر. فنحن ان اردنا نستطيع ان نجعل حتى المراسل الصغير صحفياً كبيراً. لا تقلقي بهذا الشأن.

# أخيراً أنا في طريقي لتركيا

تم اعداد كل حاجياتي. وسأذهب غداً بالقطار في الساعة الحادية عشرة .... كأني سأطير من الفرح، لأني سأرى حبيبي محمد. آه لو تعلم با محمد، مقدار اشتياقي اليك ... ماذا كنت افعل لو لم تكن موجوداً فش هذه الدنيا؟ فجأة تذكرت عبد الوهاب. سأجده وأودعه وليكن ما يكون. وقبل ان يمر وقت طويل وجدته:

– لا تقلق سيكون هذا آخر لقاء لي معك. فانا ذاهبة. اغفر لي وقاحتي. فلم استطع الذهاب دون ان اودعك.

– بوركت. لقد سعدت لتفكيرك في.

– آه منك؟ دعك من هذا الكلام بالله عليك. هل حقاً تفكر هكذا؟

– صدقيني، أنا اقول لك الحق، يعني ..... أنت ذاهبة؟!

– نعم. غداً في الساعة الحادية عشرة صباحاً.

– هذا يعني اني لن ارى لحظة دخولك الاسلام.

– ربما لا اصبح مسلمة.

ستصبحين مسلمة. فروحك روح مسلمة. وبقى فقط ان يكون عقلك وقلبك مسلمين.

– أشكرك على هذا.

– أتعلمين أني رأيت سلوى في منامي بالأمس. أعطتني رسالة: كانت تسلم عليك فيها. إنها مجرد رؤيا ولكنها مع ذلك أثرت في جداً.

– شيء غريب .... دعنا من هذا الآن انا ذاهبة الى تركيا فهي تعد بلدكم ايضاً. فهي بلد اسلامي. وانا شغوفة جداً بمعرفة حياة المسلمين عن قرب. ولكي أرى كيف سأجد نفسي بينهم؟ ستكتب الي أليس كذلك؟

– بالطبع ساكتب اليك؟

– بلغي محمد سلامي الحار. واعلميه بانه مدين لي بحصوله عليك. وهذا ما كان الا لتمسكي بالاسلام.

– ماذا تعني بهذا.

– دعيني من هذا الكلام انه كلام فارغ.

– هل انت سعيد لذهابي؟

أجابني وعيناه تنظران الى الارض:

– إيه ..... نعم سعيد جداً. كيف استطعت ادراك ذلك بهذه السرعة لا ادري.

– هذا ليس صعباً لدرجة انه لا يفهم.

– دعينا من هذا. فانا لا اريد الخوض في هذا الموضوع.

– صحيح. أنت لا تحب الخوض فيما هو ذنب. ولكن لا يا عبد الوهاب ان شعورك نحوي ليس كما تظم، فلو كان هذا الشعور حقيقياً لفعلت ما في وسعك كي لا تتركني ولتبعدني عن محمد.

– مالي أنا ولخطيبة شخص آخر؟ ما هذا الهراء الذي تقولين؟ دعينا من كل هذا كي لا نتشاجر.

– صحيح فهذا آخر لقاء بيننا.

– الله اعلم.

– ولكن الامور واضحة الى حد ما. فانا ساتزوج محمد وابقى هناك.

– بالطبع يجب ان تبقي هناك. وبلغي سلامي لمن بقى في تركيا من مسلمين.

– ولكنك تبكي.

– تذكرت سلوى ولذا فانا ابكي لأجلها. وتعودت عليك جداً. وعندما تذهبين ساشعر بالوحدة. حتى انني بدأت اشعر بها من الآن. ولكني واثق من ان ذهابك سيكون افضل بكثير.

– مادام الامر هكذا اقول لك طابت ايامك. فلقد كنت صديقاً ورفيقاً جيداً جداً. ولن انساك ما حييت.

– كفى ... اذهبي اذن...

سار وهو يلتفت الى الخلف. وكان واضحاً انه يبكي. وتركته وانا في حزن شديد.

في الصباح التالي ودعت كل معارفي واقاربي وركبت القطار. حضر معي لوداعي امي، وابي ..... وجميع اصدقائي.

ما هذا؟ هل انا مجنونة؟ فعيناي بدأتا تبحثان عن عبد الوهاب في المحطة لقد قال لي "إنه لا ينبغي ان يلتقي شاب وفتاة بشكل مستمر لانهما لو التقيا نشأ بينهما تقارب دون ان يشعرا بذلك. ولذا فانا احتاط لذلك".

يا الهي كيف لي ان اخون محمداً؟ ... يارب احفظني ينبغي ان يكون حبي له حباً طاهراً. وانا واثقة ايضاً ان حبه لي حباً طاهراً ايضاً.

القطار على وشك التحرك. اللعنة عيناي مازالتا تبحثان عنه. ماذا لو اراه ولو لمرة واحدة اخيرة. فانا لا احبه بسوء نية ولكن كأخ او كصديق.

نظرت كثيراً .... ولكنه لم يأت. واخيراً توارت كل آمالي مع صفارة القطار الحزينة. جلست في المقعد المجاور للنافذة مباشرة. كانت تجلس امامي فتاة ذات شعر اصفر غامق.

- مرحباً بك.
- أهلاً
- إلى اين تنوين السفر؟
- الى تركيا.
- وأنت؟
- وأنا ايضاً.

تحدثت معها لساعات طويلة. وفجأة تذكرت.

- أنا لا اعرف حتى اسمك.

- اسمي فكرية. وأنت.

- وأنا ماريا ... أين تقيمين؟

- في أنقرة. هل تعرفين أتاتورك؟

- أوه ومن ذا الذي لا يعرفه.

- انا اقيم معه....

- لم أفهم. كيف يكون هذا؟

- يعني انا اقيم في قصر الرئاسة في انقرة (جانقايا).

- كيف يكون هذا؟ هل انت زوجة اتاتورك؟

- لا ولكني سأكون. سيتزوجني. فكلانا يحب الآخر.

- لا اصدق هذا ابداً.

- صدقيني فأنا اقول لك الحق. فأنا احبه بجنون.

عجباً تعرفت عليها منذ ثلاث ساعات ومع ذلك فهي تحكي لي عن اسرارها. لاحظت هي ايضاً نفس الشيء فقالت:

- يا لي من ثرثارة. اتعبت راسك وشغلتك بخصوصياتي.

- لا تفكري بهذا الشكل. انا تعجبت فقط، ولكنني شعرت بالسعادة واود ان تقبلي صداقتي.

– بكل سرور ... انا لا استطيع الكشف عن كل اسرارنا في انقرة، فبلدنا مازالت لم تتخلص من بعض المتعصبين حتى الآن ولأنهم يرون حبي لاتاتورك ذنباً، لا استطيع ان اسير متأبطة ذراع الباشا حتى الآن.

– أهو ايضاً لا يرى ذلك أمراً طبيعياً؟

– وهل هذا ممكن؟ فالباشا صاحب وجهة نظر عصرية ومتفتحة ويقول "إن الناس ليسوا مستعدين لذلك بعد" ولكن هذا ليس مهماً. فعلى اية حال سنتزوج قريباً.

– فإذا لم يتزوجك؟

– أيمكن ان يحدث شيء كهذا؟ ايمكن ان يخدعني الرجل الذي يحافظ على حقوق المرأة؟ لا يمكن ان يحدث هذا ابداً. ولعلمك انه لكي يحافظ على حقوق المرأة منع الزواج باكثر من امرأة. لماذا؟ بالطبع لانه لا يريد للنساء ان يحزن او يشعرن بالظلم. وأنا ايضاً امرأة فلا يمكن ان يظلمني ابداً.وانا مستعدة ان افديه بروحي. ولذا فانا غير قلقة من هذه الناحية. ولكن الشيء الذي يخيفني هي امه. فهي لا تحبني ولكني لا اظن ان اتاتورك يحطم الآ/ألأ ألأ.] أ‘"أ÷أ لأإأ’ أ، ألأأ/{أة، لان اي امرأة اخرى لا تحب مثل هذا التصرف. لا، لا أظنه يفعل ذلك.

– بالطبع لن يفعل، فهو انسان متفرد لا مثيل له، الحقيقة أنني شغوفة جداً لرؤية اتاتورك. فهو رجل متحضر، مع انهم يقولون عمن يعيشون في بلادكم "برابرة" و"همج".

– هذا صحيح فالهمج كثيرون. ولكننا سوف نصلح هذا الوضع بالتدريج وسنجعلهم مثل أوروبا تماماً.

– انت غاية في الذكاء. فهل كل الفتيات الاتراك ذكيات مثلك؟

– كل اللاتي يدرسن في الخارج يفكرن مثلي تقريباً.

– سعدت جداً بمعرفتك. فانا كصحفية ساشعر بسرور بالغ لأني ساقدم خدماتي لبلدكم.

– يمكنني ان اعرفك على اتاتورك، أظنه سيسعد جداً بذلك.

– إنني اشعر بالانفعال من الآن لهذا اللقاء.

– سأراسلك. وسنصبح أصدقاء. ونتصل ببعضنا تليفونياً.

– هذا شيء جميل جداً. أوه، لأنك لا تعرفي مقدار سعادتي. سأكتب بكل هذا لأبي ... إن تفكيره سيتوقف من شدة الحيرة.

– هل لك صديق في اسطانبول؟

– نعم هناك شاب احبه وسأتزوجه.

– فتاة ألمانية، وشاب تركي. ترى ما هي الفروق الثقافية بينكما؟ وهل الشاب من الشباب العصري؟

– نعم يعد كذلك. ولكنه يشعر بعدم الارتياح لاني كاثوليكية، ولكني لم أعد كاثوليكية الآن. وعلى الارجح سأصبح مسلمة.

– أوه!! أصحيح هذا؟

– نعم ألإكر في هذا جدياً.

– إنه شيء غريب جداً. هل تهتمون بنا قدر اهتمام الفتيات المسلمات بكم؟

– آه، هل انت ايضاً مسلمة؟

– بالطبع.

– ما اعجب هذا. فأنت تشبهيننا تماماً. ألا يوجد فرق بيننا وبينكم؟

– نحن مدينون بذلك لرئيسنا. فرئيسنا يريد ان تكون المرأة المسلمة كالمرأة الاوروبية تماماً. وفي نفس الوقت فهو يناضل ضد المتعصبين.

– لإذن انا ايضاً يمكن اعتباري مسلمة الآن. فمادام لا يوجد فرق بيننا فهذا شيء رائع. فكلتانا تلبسان نفس الشيء تقريباً. وتفكيرنا واحد. العصرية والتقدمية .... ما اجمل هذه الاشياء التي توحدنا. أصبحنا صديقتين حميمتين ....

باتت معي ليلة في استانبول، وفي اليوم التالي ساعدتني في تنظيم المنزل. ولكنها ذهبت بعد ان قالت لي "لقد اشتقت جداً لاتاتورك ولن يمكنني الاحتمال اكثر من هذا" كانت فتاة ظريفة، متسامحة، وحارة المشاعر. مثلي تماماً.

بمجرد ذهاب فكرية إلى انقرة، اخذت عنوان محمد وذهبت اليه باسرع ما يمكن.

أخيراً وجدت العنوان. هذا المبنى الاصفر. الطابق الثاني. يا إلهي قلبي سيتوقف! ماذا يفعل محمد من يدري؟

اعطيت لسائق الحنطور الذي اوصلني اجرته وانصرف. محمد في البيت بالتأكيد لانه يعلم اني سآتي في هذه الايام ... يا إلهي ما هذا الانفعال!!! لم أره منذ عام تقريباً. لماذا أشعر بكل هذا؟

مفاصلي لا تحملني من شدة الانفعال ... صعدت الى الطابق الثاني بصعوبة .... كنت لا اشعر بيدي المرتعشتسن. اضغط على الجرس بصعوبة ... فتحت الباب لي سيدة ....

– تفضلي يا سيدتي.

– انا اسأل عن محمد. هل هو في الدار؟

– لا يوجد في هذا البيت احد باسم محمد يابنيتي. ها .... تسألين عن الاسرة التي انتقلت منذ عشرة ايام. لقد رحلوا. نعم كان لهم ابن يدعى محمد. انه يعمل مدرساً.

– كيف يحدث هذا؟ الم يخبروك الى اين ذهبوا؟

– لا يا بنيتي.

– ولكن هذا مستحيل. ربما نسيت فمحمد كان يعلم بحضوري. ماذا لو سالت لعله ترك ملحوظة الى احد افراد الاسرة، فهو لا يمكن ان يتصرف معي بهذا الشكل.

– لا يا بنيتي لو كان ذلك قد حدث لكنت على علم به.

تكومت هناك في مكاني وجلست. ولما افقت اخذتني السيدة الى الداخل واعطتني كوباً من الماء، وبعض العطور. ولكني بكيت ... شعرت بنوع من الراحة. حكيت

القصة من اولها إلى آخرها الى السيدة. فحزنت جداً. وقالت "لو مروا علينا سأخبرهم". عدت مرة اخرى الى شوارع استانبول التي اشعر فيها بالوحدة والغربة. كنت اتجول كالمجنونة وأخيراً ركبت تاكسي. ووصلت الى البيت بصعوبة. وعند عودتي وجدت سوزي التي ستسكن معي في نفس المنزل. عانقتني ... وتعجبت لحالتي المزرية. فحكيت لها القصة ايضاً.

كيف يفعل محمد ذلك ... كيف يفعل ذلك؟ اين ما كان يقوله لي بانه لن يستبدلني ولو بالدنيا. وانه لو حرم مني سيموت؟ لا شك ان في هذا الامر سراً لا اعرفه.

– آه! هل يستحق اي رجل ان تذرفي كل هذه الدموع لاجله يا عزيزتي؟ فهو عندما يرى من هي اجمل منك سينساك فوراً ... لا يستحق... غبية من تبكي لأجل الرجال، ومن يبكي لاجل امرأة معتوه. او بالاصح لا يستحق احد البكاء عليه.

– لكنه لم يكن كأي شخص.

– دعك من هذا يا ماريا. ففي هذه الدنيا لا يوجد من يرتبط بالآخر للابد.

– ألا تؤمنين بالحب؟

– أؤمن ولكنني لا أؤمن بأن الحب لا ينتهي. فكل حب ينتهي إذا وجدت الاسباب لذلك. ولا يجب ان يرى احد الحب كإله.

– إنك مليئة بالحقد.

– نعم، فأنا كنت أفكر مثلك لفترة. أحببت كمال جداً. كنت احبه بجنون. كنت غبية. فبينما كنت احبه هكذا. تركني بمنتهى البساطة، وظللت اياماً وانا تائهة. ومع ذلك فقد انهى كل شيء بخطاب مليء بالاتهامات الكاذبة. نعم خطاب. هكذا كنت لا اساوي في عينيه سوى خطاب فقط.

– ولكن محمداً مختلفاً تماماً. محمد لا يمكن ان يتركني. ولم يتركني؟ فأنا أمثل الروح بالنسبة له.

– دعك من هذه التفاهات. فلا يوجد انسان روحاص لانسان آخر يا حياتي لا يجب ان نخدع انفسنا.

– لا انا لا اخدع نفسي. فمحمد لن يتركني ويهرب.

نعم كنت اقول انه لن يستطيع ان يهرب ولكن مرت ايام ولم اجد محمداً. كنت اشعر بالضيق، فجلست وكتبت لعبد الوهاب ولأمي، ولابي. أولاً بدأت اكتب لعبد الوهاب.

"صديقي العزيز وزميلي المخلص:

منذ اليوم الذي جئت فيه الى هنا وانا اتجول كالمجنونة. حالتي غير طبيعية ولو رأيتني ستشعر بالحيرة. ولذا ارجوك ان تسامحني لو فعلت بعض التفاهات.

استانبول ليست مثل اوروبا تماماً، ولكنها قريبة منها جداً. كنت اظنني ساجد هنا عالماً مختلفاً تماماً. ولكن ظاهر الناس يدل على انهم مولعون بنا. لك عندي بشرى.

تعرفت على حبيبة اتاتورك. لكني لا اصدق حتى الآن. لقد درست في اوروبا. انها فتاة مؤدبة وجميلة. إنها تحب اتاتورك كما احب محمداً تماماً. انها تثق فيه جداً.

ها .... مادمت قد ذكرت محمداً فقد تذكرت. الحقيقة أنني لا انساه ولكن .... دعنا من ذلك فانا لا اعرف ماذا اقول. لا استطيع ان اجد محمداً. ابحث عنه في كل مكان... ماذا حدث هل ذهب الى المانيا؟ من فضلك ابحث لي عنه .... لا اطيق العيش هنا بدونه. من فضلك فأنت اكثر الناس فهماً لي. ساعدني، انصحني. لقد توقف عقلي تماماً. وأشعر بالوحدة والغربة هنا.

أما بالنسبة لسكني فهو بيت جميل جداً يقع في شارع سرابادي في منطقة "لا له لي" ولي صديقة هي سوزي. انها صديقة جيدة جداً .... استانبول مكان جميل من الناحية الجغرافية، ومدينة جميلة جداً. ولكني لا استطيع فهم اهلها تماماً.

آه ماذا اكتب ايضاً؟ اذا قلت لك اني اشتاق اليك، ستغضب مني. ها .... رأيت هنا مسلمين ولكنهم لا يفترقون عني كثيراً. وهذا يعني انني ايضاً اعتبر مسلمة. ولذلك ليست لدي مشكلة دينية".

أخبرت والدي أيضاً. مع اني لست على ما يرام إلا أنني حاولت ان احكي عن احوالي، ويالللعجب.

# ثلاثة أشهر في استانبول

انا في استانبول منذ ثلاثة شهور. تعرفت على اشخاص جدد. ولكني لم استطع العثور على محمد. انا واثقة من ان محمداً قد ارسل الى خطاباً ولكن امي لم تعطني اياه. ساجده بالتأكيد ساجده.

احياناً كنت اتحدث مع فكلاية في التليفون. ساذهب الى انقره بعد اسبوع واحكي لها همومي.

حتى الآن لم اقم باي عمل كصحفية. أما ابي فانه يخشى علي العمل باستمرار لا ادري ماذا يريد. لقد كتبت له في آخر خطاب قائلة "ان تركيا اكثر سرعة منا في الاتجاه نحو الثقافة الاوروبية".

انك تتعبني بلا فائدة. فعندهم كل شيء حتى الكباريهات موجودة عندهم. والنساء يصعدن على المسرح ويغنين، وهناك العديد من المرشحات لمسابقات ملكات الجمال. لا ترهق نفسك يا أبي، فتركيا تبذل ما في وسعها لكي تصبح مثلنا.

سأرى اتاتورك. سأرى اكبر رجال الدولة. ليس أكبر رجال الدولة وفقط ولكن الناس تؤلهه.

ما أهمية كل هذا؟ فأنا لا استمتع بأي شيء بدون محمد.

آه يا محمد آه! هل من حقك أن تحزنني هكذا؟!

لم تصل أية خطابات من عبد الوهاب أيضاً. كنت أتمنى لو يواسيني.

عندما كنت أفكر في ذلك، اذا برجل البريد يأتيني بخطاب، يالمصادفة إنه من عبد الوهاب. قلبي كان على وشك ان يتوقف. فتحت الخطاب بسرعة. كان اسلوبه غريباً. فبدأت اقرأه وانا مضطربة.

"السلام على من اتبع الهدى.

العزيزة ماريا!

قاومت كل هذه المدة كب لا اكتب لك، ولكن ها انا اكتب لك في النهاية.

كيف حالك؟ انت ايضاً لا تكتبين لي. ولكنك على حق فمن لا يرد على الخطابات لا يجب ان يكتب اليه احد. وأنت فعلت هذا.

أوجدت محمداً أم لا؟ أم أنك وجدته وتزوجتما؟ هذا لا يهمني ولكني شغوف بمعرفة ذلك.

وبخصوص ما كتبته عن دخولك الاسلام، فهذه آراء لا علاقة لها بالاسلام، فإذا كانت تركيا قد نسيت الاسلام فهذا لا ينقذك ... ولأنهم لا يريدون النظام الاسلامي فهم في حيرة ولا يستطيعون تحديد النظام الذي تسير عليه امتهم. فتركيا اصبحت امة فاقدة لهويتها. وكذلك بعض الدول الاسلامية. فهم الآن في حالة من الحيرة. هل يكونون أوروبيين أم مسلمين؟ أم كليهما معاً؟ فهم لا يستطيعون تحديد الهوية التي يريدونها لأنفسهم. ولكن يجب أن لا تكوني بلا قرار. حتى الآن لم ترسلي إلي لتبشريني، أو بالاصح تأخرت جداً. وهذا لا يليق بفتاة ذكية مثلك.

بالطبع انت حرة في هذا لاخصوص، ولكني احب ان اقول لك "إن الله ما خلق هذه الدنيا كي يعصى فيها".

كان خطابه مليئاً بالنصائح، تضايقت من بعضها ورحبت ببعضها ولكنه على كل حال خطاباً واساني كثيراً.

ايامي كانت تمر في حالة من عدم الاستقرار. انشأت صداقة مع جارتي التي تسكن في الشقة المقابلة. آراؤها متواضعة جداً ولكنها ذو قلب كبير. اظن ان ابنها ديمقراطي فهي كانت تسألني قائلة "إن ابني صار يشرب الخمر هل اصبح كافراً؟"

وذات يوم عندما كنت اجلس عندهم وقعت عيني على جريدة "ملليت" فنظرت اليها. يوجد بها اعلانات غريبة، وفي كل الاعلانات يستخدمون الاسماء الاوروبية. فمثلاً هناك اعلان يقول "يرى لون صدر الاتراك" وآخر يقول "الزواج الصعب: حالياً بسينما آصري" بوستن كيانتون .... لابن هايد، الحب والجريمة. كل شيء موجود هنا، اهتمام كبير جداً بأوروبا. كانت جارتي تنظر مرة إلى ومرة إلى الجريدة.

- اقرأي يا ابنتي ماذا يكتبون في هذه الرسالة الكبيرة.
- هذه ليست رسالة وانما هي جريدة.
- هل عندكم في بلاد الكفار شيء كهذا؟
- بالطبع يوجد عندنا فالجرائد ظهرت أولاً عندنا.
- ماذا يوجد فيها؟
- كل اخبار البلد تكتب فيها.

- ما أجمل هذا. كان أهل مكة يفعلون نفس الشيء، لكنهم كانوا يكتبون على الحوائط. أما هؤلاء فيكتبون على الورق.
- لم استطع فهم ما قالت. ماذا كانوا يكتبون وأين؟
- كانوا قبل الاسلام يكتبون الاحداث اليومية على احد الحوائط.
- آه هل هذا صحيح؟
- بالطبع.
- من اين علمت بهذا؟
- قرأت ذلك يا بنيتي. كان ابي عالماً كبيراً. ولكنهم ....

وفجأة بدأت السيدة تبكي.

- ماذا حدث؟ لماذا تبكين؟
- ابي لقد شنقوا ابي... حدث ذلك من عدة سنوات.
- من الذي شنقه؟

- الجنود الذين شنقوه. كان قد حضر لتوه من محاربة الاعداء. ذهب الى الجبهة وهو في الخمسين من عمره. ولكن ابي كان متديناً. شنق لانه كان ضد الثورة. لقد طرد الاعداء هو والمحاربين الآخرين من بلادنا. وكانت مكافأته أن علقوه على حبل المشنقة. كل هذا حدث كي نتشبه ببلاد الخواجات. ولكني لم احك كل هذا لابني فهو يقول "إن جدي كان يستحق الموت" لقد فصلوا ابني عن اصله، فكيف لا ابكي يا ابنتي؟

في يوم ما بحثت عن ابي حتى المساء فلم اجده.

وبعد آذان المغرب جاء ابن الشيخ اسماعيل وقال:

– "لقد رأيت أباك".

– قلت له"أين رأيته" ؟

– قال "في ميدان تقسيم".

– فذهبت عدواً الى تقسيم. هل تتصورين لقد ذهبت من "لا له لي" الى تقسيم عدواً. فبماذا تظنينني رأيت. أبي.... أبي روحي وحياتي أبي! كان مصلوباً على شجرة. ولم ينزلوه من على الشجرة كي يكون عبرة للناس. هل تستطيعين تصور هذا. ابي خائن. وقيل إن الذين شنقوه ابطال. فبماذا كان ذنب ابي؟ كان يقول "لتكن امة تعيش بالاسلام" ولكنهم لا يريدون الاسلام. وانما يريدون اسلوب بلادكم في الحياة. من فضلك قولي لي: هل الناس في بلادكم مستريحين وسعداء؟ الامهات، الآباء، الاولاد، والاخوة، هل كل هؤلاء سعداء؟ وهل يستحق تطبيق قانون بلادكم كل هذه الدماء المراقة. وكل هذه الارواح المزهقة. قولي بالله عليكي هل يستحق؟ !! ولما رأيت أبي معلقاً هكذا أصابني الجنون.

"أبي، من الذي قتلك يا ابي؟!" كنت اقول هذا وانا اصرخ باعلى صوتي ولكني سقطت على الارض بضربة بمؤخرة سلاح احد الجنود. ولما افقت كان الجندي يضربني ويصرخ في قائلاً:

– لا تبكي عليه، لقد كان خائناً. كان يناهض حرية الوطن. لا يستحق كلاب كهؤلاء أن يبكى عليهم.

– لا، لا !!! كانوا يخدعون لاناس ويفترون على أبي الكذب وكذلك على امثاله. اقنعوا الناس بأن ابي ومن على شاكلته ممن كانوا ضد الغاء الخلافة اقنعوهم بان هؤلاء لا يريدون للمحتل أن يخرج من الوطن.

إن قدرتهم على الاقناع كبيرة جداً لدرجة انهم اوغروا صدر ولدي ضد جده يعني انهم لم يتركوني حتى لأبكي على والدي. وسحلوني من ميدان تقسيم، وابعدوني عن ابي. حبيبي يا ابي.. كيف قتلوك؟! كيف شنقوك؟!

كانت المرأة تبكي لدرجة كادت معها ان تفقد وعيها.

كل هذا كان يحدث بغية التشبه بنا. هيه ..... نحن .. ماذا يوجد عندنا؟ نحن قوم لم يعد عندهم احساس بالشرف. لقد جعلوا دهشتهم بتقدما التكنولوجي ذريعة لكي يتركوا دينهم.

سألتنيلا المرأة بعد ان بكت بحرقة:

– انا اراك قريبة منا جداً. والا لما احببتك... هل قرأت لي هذه الجريدة. ماذا يوجد فيها غير ذلك؟

– اشياء كثيرة.

– اقرأي واحدة منها.

– لكنك يتحزنين.

– انا حزينة دائماً. انظري الى هذه الشوارع ... فمعظمها لا يمت لنا بصلة.

– مادام الامر كذلك فسأقرأ لك.

"اشتركن في مسابقات ملكات الجمال. لا تخشين عدم الفور. لا مجال للتردد. ولا تقلقوا بشأن الاحراج من عدم الفوز. لأن من سيعرف فقط الفائزات. ولن يعرف احد اسماء غير الفائزات.

شروط الاشتراك في المسابقة:

١- أن تكون فتاة غاية في الشرف!

٢- ان لا تكون فتاة ذات سمعة سيئة.

أو. ما اعجبه من اسلوب.

- انهم يعودوهن بالتدريج على هذه الامور، والعائلات سترسل بناتهن بدون اي قلق لقناعتهم بان هذا العمل شريف جداً. مع ان الغرض منه هو تعويد الفتيات على العري.[١]
- هل يوجد نفس الشيء في بلدكم؟
- أيمكن ان لا يوجد؟ اعلمي ان كل ما عندكم من شيء مخالف لدينكم فهو يأتيكم من عندنا.
- أنت على الحق، استمري في القراءة من فضلك.
- بالطبع سألقي نظرة على العناوين الرئيسية.
- ماذا يكتب في التعليق على صورة هذه المرأة العارية.
- استغفر الله واتوب اليه! كيف تقف امرأة بهذا الشكل امام الرجال وهي ترتدي هذه الملابس القصيرة؟
- هذا يسمى مايوه، وليس ملابس قصيرة.

[١] سؤلت المديرة – المسئولة – السابقة لجريدة ملليت سنة ١٩٩١، "لماذا أنهيتم مسابقات ملكات الجمال؟" فأجابت قائلة "لم يعد هناك داع لها. فلقد رأينا تأثيرها في جميع الشوارع".

– وهل اذا تغير اسمه يخرج عن كونه ملابس قصيرة؟ إنه اياً كان اسمه نوع من الملابس القصيرة.

– المايوهات الموجودة عندنا اقصر من ذلك. المايوهات الموجودة عندكم حالياً فوق الركبة. ولكن في المستقبل القريب ستزداد قصراً.

– يا إلهي!! ما هذه الفضائح؟ ها ماذا يكتب.

– هذا اعلان يقول " قاوموا آلام المغص" ثم يكتب اسم العلاج.

– وما علاقة هذه المرآة العارية بالعلاج؟

– الهدف هو تعويد الاعين على رؤية النساء العاريات. ولا يجب ان ننسى ان الحضارات تترسخ بتعويد الناس عليها عن طريق الاعلانات.[1]

هكذا حدث عندنا. هذا الخبر اغرب بالنسبة لك. انظري ماذا يقول "وصول موريس وولف رئيس هيئة التحكيم لمسابقة ملكات جمال أوروبا" وهناك خير آخر يقول: "حضرت بن روبي من باريس الى مدينتنا للاشتراك في المسابقة" وهما يكتب "إن هذه مهمة قومية" لقد سيطروا عليكم ويالللأسف بمنتهى السهولة، مع أنكم أمة عظيمة. بالأمس طردتم الفرنسيين من وطنكم. واليوم تأتي بن روبي من باريس الى بلدكم لاجل المسابقة التي تستهدف التخطيط لتعرية فتياتكم. وانتم ايضاً تتشرفون بمجيئها. الحقيقة اني اشفق عليكم جداً. لقد وقعتم في الفخ بمنتهى السهولة. تذهبون الى الشرك بمجهودكم دون ان ترهقوا الطرف الآخر. صدقيني اني اوشك ان ابكي على حالكم .. لقد تحقق المقصود من

[1] جميع الاخبار المأخوذة من جريدة مليت أخذت عن الاصل من سنوات مختلفة.

# آه يا فكرية

ما سمعته كان ينقلني من صدمة الى صدمة.

اتممت الشهر السادس لي هنا.

قابلت فكرية. قابلتها في بيت عمتها من الرضافة في مكان يقع بالقرب من "جانقايا" كانت تشعر ببعض المرض. فسألتها عما حدث، فقالت أنها أصيبت بالتهاب رئوي.

– صحيح؟ لا بأس عليك. لا عليك، لا تقلقي فهناك علاج للالتهاب الرئوي. فلا تحزني.

– كيف لا أحزن؟ والسيدة زبيدة والدة أتاتورك لن تقبلني ابداً زوجة لابنها.

– وأين أتاتورك؟ ألن تعرفيني عليه؟

– ذهب إلى أزمير. توجد بداخلي أحاسيس غريبة لا استطيع تحملها. لا استطيع العيش بدونه لا يمكن. فانا اجن جدا يا ماريا جدا ...

– لا تقلقي فلن يتركك رجل رمزا لامته. لا يمكن ان يفعل هذا ابدا ولن يطاوعه ضميره ان يترك امراة مخلصة مثلك.

وفي تلك الاثناء تدخلت عمتها في الحوار:

– أنا أيضاً لقول لها، اقول لها نفس الشيء. ولكني لا استطيع اقناعها وهي لا تصغي لكلامي.

– التي لا تسمع كلامك ليست فكرية يا عمتي وانما قلبي هو الذي لا يسمع كلامك. فلم لم يأخذني معه إلى أزمير؟ كيف ولماذا يكون سعيداً بدوني؟ فانا لست سعيدة بدونه.

– يا ورة الاعظم ايضا يحاول تهدئتي ولكن اتظنين ان قلبي يصغي لهذا؟ دعينا من كل هذا، ماذا فعلت انت هل وجدت محمدا؟

– لا، لقد اصبح مدرسا، ولكني لا استطيع العثور على مكانه.

– لا تقلقي. فانا صاحبة كلمة مسموعة في "جانقايا" وساجده لك عن طريق وزارة التربية والتعليم.

– أصحيح هذا؟ لن انسى لك هذا الجميل ابداً...

بقيت هذه الليلة هناك. ثم عدت الى استانبول. وبعد اسبوع جاءني تليفون من فكرية. قالت فيه "غالباً وجدت محمد" فشعرت بسعادة غامية.

- هالو فكرية!
- نعم يا عزيزتي.
- هل تبكين؟
- نعم ابكي يا ماريا. فالرئيس اتاتورك سيرسلني الى مجلس الجامعة الطبي بميونخ.
- ولكن هذا المكان غالي عليك جدتً.
- ستدفع الرئاسة التكاليف ولكن لا اريد ان اذهب. لا استطيع ان ابتعد عن الرئيس. اشعر انني لن اراه مرة اخرى. عندي احساس داخلي بذلك.

– لا تقولي هذا يا فكرية! اذهبي واستكملي علاجك فلن يتركك اتاتورك.

– ولكن امه زبيدة لا تريدني. انا اعلم هذا جيداً. فماذا لو اقتنع بهذا! ماذا افعل؟

وبعد مدة ارسلت فكرية الى ميونخ. ولم يكن لديها الوقت لتفكر في مشاكلي بسبب مشاكلها الخاصة. وبعد شهر تسلمت منها خطابا. لم يكن خطابا وانما كانت دموعا تملأ خطابا.

"عزيزتي ماريا"

صدقيني، ان وجودي هنا يؤلمني ويضايقني. فانا اعالج فقط كي اتمكن من رؤية اتاتورك. انا اتحمل البعد عنه من اجله فقط. بالامس تسلمت منه خطابا. يقول لي فيه: "افعلي ما شئت. فانا اريد ان اراك معافاة" لو علمت اني لن اقابله بعد لانتحرت فوراً ... ولرفضت الحياة من الاصل. لماذا جعلني احبه لهذا الحد؟

انني مليئة باحاسيس غريبة. ماذا لو تذهبين الى انقرة وتقولي له اني لا استطيع العيش بدونه ..."

كانت فكرية تحترق، انشغلت بهمومها، واجلت البحث عن محمد لفترة. مرت ثلاثة شهور تماما.

وفي اليوم الذي تسلمت فيه خطابا من فكرية مليئا بالحون، قرأت خبرا قاتلا بالنسبة لها، قرأته في جريدة ملليت. "تم زواج المناضل مصطفى كمال بلطيفة هانم في اوشاكيزا".

يا إلهي ماذا ستفعل فكرية الآن؟ باي شيء ساواسيها، فكرية المسكينة؟! لقد قضي عليك ايتها المسكينة. احترقت يا فكرية وانا ايضاً حزنت جداً لهذا الخبر من اجلك. بكيت لساعات. واتصلت بعمتها فوراً.

كانت هي ايضاً تبكي.

– كيف نبلغ فكرية بهذا الخبر يا ماريا؟

– لت تحتمل فكرية هذا الخبر وستموت ... قولي بالله عليك ماذا سنفعل؟ لقد توقف عقلي تماماً.

– انا ايضاً توقف عقلي ولا ادري ماذا سنفعل؟

جلست وكتبت خطابا لفكرية، كنت اريد ان اهيئها لتقبل هذا الخبر السيء. بعد عشرين يوماً، وصلني منها خطاب. لم يكن خطاب وإنما كأنه وثيقة وفاة.

"عزيزتي ماريا ... من فضلك ساعديني، لقد رأيت اتاتورك اليوم في الجريدة، كانت هناك امرأة قصيرة القامة تسير خلفه وإلى جواره كان يسير ياوره. فسألت السيدة التي أخذت منها الجريدة عن هذه السيدة التي تظهر معه في الصورة. فقالت لي:

"إنها زوجته، لقد تزوج ألا تعلمين ذلك؟"

أنا لم اصدق هذا الخبر. ولكني مع هذا احسست بالصدمة يا ماريا! من فضلك استقصي عن هذا الامر. من فضلك؟ هل تزوج حقاً؟ الا يمكنني ان اقابله مرة أخرى؟ واكتبي الي بالله عليك. وانا ساحاول الخروج من المستشفى في هذه الفترة.

لعلي آتي قبل ان يصلني خطابك. سآتي واحضر معي السلاح الذي اشتريته من باريس خصيصاً هدية.

فانا اعلم انه لي ولن يكون لغيري. كان الخطاب مليئاً باشياء أخرى كثيرة ..

جاءني تليفون في مساء نفس اليوم من فمرية. كانت قد وصلت بالفعل الى تركيا. قالت كلمة واحدة بصوتها المخنوق حتى انها قالتها بصعوبة.

– انا لا اصدق يا ماريا، ساذهب غداً إلى جانقايا لارى بعيني.

كان ذلك اليوم مميتا بالنسبة لي .. لم تصلني اية اخبار في المساء. وفي اليوم التالي اتصلت بعمتها، وكان رأسي يكاد ينفجر. قالت لي:

– ذهبت فكرية يا ماريا! انتحرت بنفس المسدس الذي اشترته لتهديه لاتاتورك. اطلقت منه النار على راسها.

ليتني مت قبل سماع هذا الخبر ... تكومت في مكاني من شدة الحزن والحسرة اللذين لن انساهما في حياتي.[1]

في اليوم التالي كتبت احدى الصحف التركية هذا الخبر المقتضب "نالت امرأة تركية حريتها"

هناك اخبار عن محمد

[1] كل المعلومات الخاصة بفكرية ماخوذة عن الارشيف. ولمن يشعرون بعدم الارتياح لهذا الموضوع. فليعلموا ان كل ما كتبه قلمي يستند الى وثائق حقيقية. وانا ايضاً على اتم الاستعداد لمن اراد المساءلة والبحث عن الحقيقة أمينة شنليك أوغلو

بعد حادثة فكرية ظللت لفترة في حالة يرثى لها. ماتت فمرية. ولكنها ماتت دون ان تريد لي ان اموت ايضاً. كانت قد اعطت الياور مظفر اسم محمد.

وهكذا وصلني خطاب من الياور مظفر يقول فيه:

"الآنسة ماريا ... لقد فعلنا ما يجب حيال حالتكم التي وصلتنا عن طريق فكرية، محمد يعمل مدرساً باحدى المدارس الابتدائية بأزمير، وهذا هو عنوانه".

يا إلهي! ما هذه السعادة؟ كنت على وشك ان اطير من الفرحة... أعددت نفسي في الحال .. كنت سأرى حبيبي محمد ... نعم سأراه، ذهبت وأنا أجري كلمجنونة إلى شركة الحافلات، وركبت الحافلة إلى أزمير. يا إلهي لم لا تسير هذه الحافلة بسرعة؟ لماذا تتوقف في الطريق؟ هذه الطرق لا تفهمني. الا تفهم هذه الحافلة ما انا فيه؟ وبعد يومين وصلنا الى ازمير.

وجدت العنوان والمدرسة الابتدائية التي يعمل بها محمد. لم يكن احد قد حضر بعد فجلست في حديقة المدرسة وبدأت انتظر. الدروس تبدأ في الساعة الثامنة صباحاً. يا إلهي هل ستمر هذه الساعة؟!

عندما كنت انتظر بدأت تدور بعقلي بعض الافكار السيئة. ماذا لو ان محمدا قد تزوج؟ أإذا رآني حينئذ سيشعر بالحرج؟ أإذا رآني ألن يحمر وجهه خجلاً؟! ألن تدور الارض به؟ وعندما كنت افكر في هذه الاشياء، اقترب مني فراش المدرسة.

– هل تريدين ان تسألي عن اي شيء؟

– نعم... انتظر أحد الاشخاص.

– أنت ... أنت لست تركية.

– نعم ... الا يمكن للأجانب الدخول الى هنا؟

– لا، لا يوجد شيء كهذا. ففي بلادنا الابواب تفتح للاجانب بمنتهى الذوق. من اين جئت؟

– اتيت من استانبول، نزلت من الحافلة منذ قليل.

– أو! ... إذن أنت جائعة. تعالي معي لتعد لك زوجتي طعام الإفطار.

– شكراً... بورك لك.

خجلت من نفسي. كيف يعاملني هؤلاء الناس هكذا، بينما جئت الى هنا لكي أسيء اليهم. خيراً أني لم افعل ذلك، فأنا أرى أن هدم أمة كهذه ليس من الانسانية في شيء.

ذهبت معه. فقابلتني زوجته بمنتهى الدفء، وأعدت لي الفطور. كان لديهم طفلة صغيرة اسمها فاطمة. قالت لي:

– هل ستبقين معنا؟ وهل ستصنعين لي لعبة؟

عندما قالت ذلك تمزق قلبي. فنحن الذين يقال عنا عصريون ومتحضرون لا نعد لهم عرائس ولعب، وانما نعد لهم الرصاص. فقررت أن أسلم وأن أعمل لصالحهم.

كنت اتخيل لقائي بمحمد عندما كانوا يتحدثون معي. كنت اتخيل اني ساقول له: "محمد لو شئت لاصبحت مسلمة فوراً". وهو ايضاً سيفرح بي جداً. كنت كاني أرى فرحته.

اخيراً الساعة وصلت الى الثامنة. خرجت بسرعة الى باب المدرسة، ولكنه لم يكن قد جاء بعد. انه هو انه هو ياتي!! يا إلهي لم يتغير.

فجأة رآني هو أيضاً ... فتوقف فجأة وكأنه صدم .... ثم بدأ يتجه نحوي جرياً. ولما وصل إلى جواري مباشرة توقف وقال.

– مرحباً ... مرحباً بك يا ماريا!

– مرحباً بك...

– كيف وجدتني يا ماريا؟

– لم لم تقل لي يا حبيبتي؟

– سامحيني، فأنا مندهش، ومنفعل، وقلبي على وشك ان يتوقف.

– ماذا حدث يا حبيبي؟ لماذا لم تبحث عني؟

– تعالي نجلس هناك وسأحكي لك.

– ماذا ستحكي لي؟

– سأقص عليك سبب عدم بحثي عنك.

– ماذا؟ لم تبحث عني فعلاً

– لا لم ابحث عنك.

– ولماذا؟ لم تبحث عني؟ أهو أنت، أهو أنت الذي كان يقول أنه يحبني حتى الموت؟

– نعم هو أنا. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث معك يا ماريا. فطبيعة تفكيرنا مختلفة جداً.

– ألأهذا السبب؟ أهذا هو السبب؟ ولكنك ستدهش للخبر الذي ستسمعه الآن.

– أي خبر؟

– الخبر الذي كنت تنتظره.

– قولي، إني منفعل جداً.

– أنما! أنا!!

– نعم أنت ماذا؟..

– لا أستطيع القول من شدة الانفعال.

– قولي فأنا في منتهى الشغف والفضول.

– أنا أيضاً سأكون مسلمة. ولن تكون عندنا أية مشاكل.

– ماذا؟! ستصبحين مسلمة؟

– نعم .. نعم .. لو شئت لأسلمت فوراً. فلقد أعددت نمفسي جيداً.

– ماريا! أنا لست مسلماً.

– ماذا؟! لست مسلماَ؟

– نعم، أنا لا ديني (ملحد يعني).

– أ ... أنت ... أنت ... يعني أنت بلا دين؟

– نعم أنا أتاتوركي، عصري، ديمقراطي.

– لا، لا يمكن ... أنت تكذب علي!

– بل إني أصدقك القول.

– أنت ... أين ما كنت تقوله لي عن دولة مختلفة تماماً. والنظام الذي كنت تراه في خيالك أهو النظام الإلحادي؟

– نعم ولكن...

– وما هو طرازكم؟ أهو أوروبا؟

– نعم يا ماريا. وفي يوم ما سنصبح مثل أوروبا.

– يعني هذا انكم ستطبقون نظام الدولة التي جئت منها. أليس كذلك؟ وستقضون على قيم الشرف والعرض عند هؤلاء الناس.

وتجعلونهم كهانز يعطون حبيبتهم للآخرين، ويستبدلون الماء بالخمر. ويهأون بالزواج، وتجعلونهم كالأوروبيين الذين لا هدف لهم إلا الاستيلاء على العالم الاسلامي. تريدون نقل أوروبا إلى هنا. أليس كذلك؟

– ألست معجبة ببلدك؟

– ألست معجبا أنت ببلدك؟

– أنا أريد عالماً عصرياً.

– إن العالم العصري الذي تتحدث عنه لا يوجد فيه دين. تعلم هذا أليس كذلك؟

– أعلم. فالدين بالنسبة لنا عائق.

– لكن اي دين؟

– لا فرق. فكل الاديان واحدة.

– لا. لا تخلط الاسلام بالاديان الاخرى.

كنت قد شعرت بالصدمة بالفعل.

– محمد!

– أفندم؟

– هل البلد التي كنت تعدني بها هي بلد بها نفس النظام الذي كنت اعيش فيه؟

– نعم. هي تماماً.

– محمد، أنا لا أعرفك. أحقاً أنت محمد الذي ظللت أحبه وأبحث عنه لشهور؟!

– نعم أنا هو بالضبط.

– صدقني لم تكن تستحق يا محمد؟ وأسفاه. واخسارتاه على ما ذرفت من دموع لأجلك.

– لا تتحدثي هكذا يا ماريا. فأنا أحببتك.

– إنك إنسان تكره أمتك، وتخجل من وجودك ومن دينك.

ماذا يعني انك تحبني؟ خساره. ألف خسارة. أهو أنت الذي كنت أقول عنك إنك كل شيء لي؟ كنت أجعلك كل شيء لي مع أنك لا تساوي شيئاً. لقد جعلتك كبيراً وجعلت لك شأناً عظيماً في عالمي ودنياي.

– لا تتطاولي علي يا ماريا!

– تطاول، أتقول تطاول؟ والله لو قتلتك الآن ما كفاني. إنك إنسان مقلد ... وغبية مثلي كانت تظنك شيئاً.

نهضت واقفة فوراً.

– انتهى كل شيء. لقد كان هذا هو كل شيء. الوداع يا محمد.

– انتظري يا ماريا لنتكلم قليلاً.

– لا اظنك ستتحدث عن شيء خاص بك ولكنك ستحكي لي عما هو موجود في بلدي. وانا لا اجد ضرورة لسماع ذلك لأنني عشت هذا النظام الذي ترى أنه أعلى وأفضل الانظمة. ولتنسب هذه الحضارة لمن شئت. فليس هذا الفكر من عندك. فكله تم جمعه من أوروبا. جمعت كل هذه القوانين تماماً كما يتم جمع الغجر. ثم تأتون وتفتخرون أمامي بهذه القوانين.

– أنت مخطئة.

– اسكت من فضلك! في أي شيء أنا مخطئة؟ هل أخطيء في موضوع العلمانية؟ لقد اخذتموها من اوروبا. ام في الديمقراطية؟ هي ايضاً اتت من هناك. أم في الزي الذي تلبسونه؟ هو ايضاً جاء من هناك. حتى انكم تركتم تقويمكم، وتفتخرون انكم تعملون بتقويمنا. والدول التي حاربتم بالامس لتتحرروا منها تاتي اليوم تحت مسمى مسابقات الجمال كي تعري بناتكم. وانتم تتنافسون في مثل هذه المسابقات ... اين اذن ما كنت تدعيه من افكاركم الجديدة الخاصة بكم؟ الا تقل لي ما هي هذه الافكار الخاصة؟

– الكمالية.

– انك تخدع نفسك. أنا لا ادري في هذا البلد تياراً فكريا يمكن ان يسمى بالكمالية. ولكن الذي اراه ان كل شيء آت من الغرب. انك تخجل من ذاتك ... حتى انك تركت الاسلام بسبب عقدتك هذه انك مخلوق مسكين!

– ماذا تعنين. اكنا نسلم بلدنا للاعداء كما فعل العثمانيون؟

– من تعني بهؤلاء الاعداء؟ اليس هم نفس اللذين تقلدونهم وتشغفون بهم؟ اتظنني لا اعرف شيئاً لانني اجنبية؟ ان شعبكم لا يعرف شيئاً عن الارض التي تم التنازل عنها في اتفاقية لوزان، أما أنا فاعرف ذلك جيداً... حتى ان هناك ما هو اهم من الارض فليتكم اعطيتم الارض فقط. انكم اعطيتموهم شرفكم. ولكنكم لا تدركونم ذلك!

– ماذا تقولين يا ماريا؟ متى ومن اين تعلمت كل هذا؟ انك تحيرينني.

– بل انت الذي حيرتني وادهشتني، بل وقضيت علي.

– يا الهي، انك تتكلمين عن اشياء مختلفة جدا. وكانك مسلمة على علم بالدين. وانني لا ارى هذا بين المسلمين فمنهم من لا ينقذنا ويدافع عن الاسلام بالقدر الذي تفعلين.

– ان هذا شرف لي. فانا اقرأ منذ شهور. وتعلمت العديد من احكام الاسلام. وكذلك تعلمت بعضاً من كلام الله.

– انا ايضاً اعرف الاسلام يا ماريا.

– أنت؟ لا تضحكني. انتظر ساخرج لك من حقيبتي رسالة، واقرأ لك شيئاً من القرآن يعني من كلام الله "ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم". (سورة لقمان آية ٢٧).

– هلا قلت لي يا محمد ماذا تعلم من كلمات الله التي لا تكفيها مياه البحور، وماذا تعلم من مخلوقاته؟ ثم انظر ماذا يقول القرآن:

"إن الحكم إلا لله".

ولكنكم لا تهتمون ابدا بحكم الله.

– ولكن العثمانيين ....

– أنا لا اتكلم عن العثمانيين، وانما اتكلم عن القرآن اي عن كلام الله.

انظر إلى هذه الآية:

"ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة والله سميع بصير".

ولكنك لانك لا تؤمن بالله تظنه لن يبعثك مرة اخرى خسارة!

كنت كلما تكلمت ازداد محمد ذهولاً. تركته وهو في هذه الحالة وعدت الى استانبول.

وحكيت لسوزي القصة من أولها إلى آخرها.

تعجبت سوزي جداً وقالت:

– إنك مسلمة تماماً.

– لا لم اسلم تماماً بعد. ولمتتي ساسلم اليوم. ابي وامي سيصابان بالجنون، ولكن ليكن ما يكون. فانا وجدت ديني الحق.

– وماذا عن فراقك لمحمد؟

– لا تساليني بعد ذلك عن محمد.

فمحمد دخل قلبي وما لبث ان خرج منه.

أصاب قلبي ثم مرق منه وخرج.

ولكن الحياة نفسها كانها لعبة.

انظري كيف بدأت وكيف مرت.

ما اجمله من شعر، لقد اصبحت شاعرة، انا افهمك، فالامر ليس سهلاً. ولكني اهنئك. فانت مع كل هذا ثابتة ومتماسكة، واراك واثقة بنفسك تماماً.

– نعم انت على حق فقد انتهى حبي له بمجرد ان رأيته شغوفاً بالغرب لهذا الحد.. فانا احب الانسان ذو الشخصية. وهكذا انتهى فصل محمد هذا من حياتي. ولكني

اشعر بالحزن لفراق عبد الوهاب. فهو يحبني. وربما اتزوجه... واهتمامي به مختلف تماماً.

جلست وكتبت خطابا لعبد الوهاب وقبل ان اكتب الخطاب تعلمت كلمة التوحيد من جارتي السيدة العجوز. فينبغي على المسلم اولاً ان يعرف كلمة التوحيد.

فلا إله إلا الله تعني: انه لا معبود سوى الله، وليس لاحد ان يضع حكما سواه. أشهد أن لا إله إلا الله أن محمداً عبد ورسوله.

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد ورسوله. ما أجملها من شهادة.

ففي اول خطوة في الاسلام يتعلم الانسان انه لا مشرع الا الله ومحمد عبد الله وليس كما يدعي البعض على نبيهم بانه رب او فوق البشر. ولكنه رسول الى عباده.

فرحت جارتي بهذا جدا. فتعلقت بعنقي وبكيت، وقالت لي:

– مرحبا بك في ديننا يا عزيزتي... جزاء الله خير جزاء، الجنة.

– آمين ... ولكن آمين هذه موجودة أيضاً في المسيحية.

– هذا ممكن ففي المسيحية من عشرة إلى خمسة عشر حكما من الاسلام. والباقي ليس من الله بالتاكيد، ولكن تم تحريفه. واعلمي انه يوجد في كل دين وفي كل فكر بعض النقاط التي توافق الاسلام. حتى في اللادينية. ولكن لا يمكن ان يقاس اي شيء من ذلك بالاسلام باي وجه من الوجوه. فالاسلام دين الله. حتى وان استطاع

البعض ان يدخلوا بعض الخرافات على الاسلام الا ان احدا كائنا من كان لن يستطيع ان يفسد اصل الاسلام وهو القرآن الكريم.

– أنا سعيدة جدا ... ساكتب فوراً لعبد الوهاب، وبدأت اكتب لالفعل:

"عبد الوهاب/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

انا في غاية الانفعال .... لك عندي مفاجأة مهمة، وسارة ... انتظر، لا تجعل قلبك ينبض. أنا أس...ل....م.....ت!!! نعم انا اصبحت مسلمة.

كيف سررت لهذا الخبر؟ انا على ثقة انك سررت جدا لهذا الخبر. عندي لك خبر آخر. انا تركت محمد. اظنه سقط من نظري عندما لم أر فيه جوانب الشخصية التي رايتها فيك .... لقد محوته من حياتي تماما.

اتعلم ماذا حدث بعد ذلك؟ شعرت باشتياق شديد لك. خصوصا أني حقيقة قد تعودت عليك جدا...

لقد وقعت هنا احداث كثيرة... انتحرت فكرية. انتحرت لانها لم تحتمل زواج اتاتورك باخرى. ساعود في اقرب فرصة. ابي يقول لي لا تات. ولكني لن استمع لكلامه. فانا حتى الان لم امارس عملي كصحفية. انهم هنا يخدعون الناس ويحذرونهم بشكل لا يمكن تحمله. لا ادري ماذا افعل بالضبط، لو استمرت الامور هكذا، فمازال امامي الكثير من الامور السيئة.

ولكن اعلم اني ساعيش مسلمة تماما .... الدخول في الاسلام سهل ولكن البقاء فيه والالتزام به يحتاج الى مجهود. قل لي، كيف اتصرف، وماذا يجب علي ان افعل؟ ولا تنسى انك استاذي.

كتبت، كتبت له لعدة ساعات. وفي اليوم التالي القيت الخطاب في صندوق البريد، وبعد شهر وعند عودتي من السوق. ما هذا؟

– ألا يعيش الاب الكبر هناك؟

هم واقفاً عندما رآني. قلت له:

– "مرحباً بك أيها الاب". كان جوابه لي محيراً.

– تعلمين اني اسلمت. واعلم انك ايضاً اسلمت، لذا يجب علينا ان نخاطب بعضنا على هذا الاساس.

– كيف عرفت مكاني بالله عليك؟

– لقد اعطاني عبد الوهاب عنوانك.

– ولماذا هذه الزيارة يا ترى؟

– جئت لكي اطلب يدك بامر الله لعبد الوهاب. وطلبت يدك من ابيك ايضاً. ولكن الفتاة من اهل الكتاب اذا اسلمت يجوز ان تطلب للزواج من نفسها. ولكني طلبتك من ابيك كي يستريح قلبه. فاجابني قائلاً "لا دخل لي بهذا الامر" وقالت امك "ان هي تزوجت بمسلم فسأتبرأ منها."

اما انا فقد جئتك كباشرة. قال لي "انني معجب بشخصية عبد الوهاب" فماذا تقولين؟

شعرت بسعادة غامرة.

– أقبل بالطبع... لا داعي حتى لان افكر.

– فرحت لهذا جدا.

– وكيف حال عبد الوهاب؟

– كيف يكون، انت تشغلين عليه عقله وفكره. يقول لي "انني اشعر بالضيق من نفسي، فهذا كثير، ولكن ماذا افعل وقلبي لا يطاوعني".

– كنت اعلم من عصبيته عندما كان يراني وكذلك من قوله لي لا اريد ان اراك. كنت اعلم انه يحبني، ولكن الامر الغريب اني كنت احبه ايضا. هل تصدق انه لم يخرج ابدا من عقلي.

– ماذا ستفعلين الآن؟

– أوف! لقد تغير كل شيء فجأة وبسرعة عجيبة، لا ادري ماذا وكيف وفي اي شيء سأفكر؟

ولكني سعيدة لشيء واحد وهو اني اصبحت مسلمة، نعم اصبحت مسلمة، انظر ساقرأ لك شعرا لنجيب فاضل احد كبار الشعراء المسلمين. ساقرأه عليك اولا باللغة التركية ثم اترجمه لك.... وثق انك ستفهم هذا الشعر اكثر مني.

صوت الناقوس

صوت الناقوس نفخ الشمعة المشتعلة في حجرتي.

رات عيناي صوت الناقوس مستديراً كالحلقات.

مر امامي بسرعة، وانهمرت الآثار من النار.

فانفتحت البحور التي تحت التراب وهي مطوية.

اضاء البرق وانطفأ. انطفأ البرق واضاء.

وتحركت المياه الراكدة في قاع الصهريج.

ودقت الاجراس، وهي تهتز يميناً ويساراً.

دقت الاجراس بلا توقف، دقت الاجراس بلا توقف.

ارتعش الماء، ارتعشت الاشياء، وارتعش البرونز.

ارتعشت الاجراس بشكل مخيف.

رايت الرهبان يتوارون خطوة خطوة.

نزلوا الى مخزن الظلام الابدي.

(نجيب فاضل/ ١٩٢٥)

– ياله من شعر جميل، وكأنه موجه الى تماما.

– لا، ليس لك فقط، وانما هو يخاطبنا جميعاً.

– انت على الحق. صحيح كيف اسلمت؟

– تعلم ان عبد الوهاب كان يبين الاسلام على اكمل وجه. ولو انه تم توضيح الاسلام بالشكل الصحيح لما بقي احد لا يدخل الاسلام الا القليل. والحمد لله اني تخلصت من تاليه عيسى ومن الالحاد. والآن اريد ان اتعلم اللغة العربية في مصر ولكن لا ادري هل سيكنونني من هذا.

– ليكن ما يكون ... انت الآن اصبحت عروس عبد الوهاب. يجب علينا ان نكتب هذا لعبد الوهاب فوراً. الحقيقة انه كان مطمئناً من ناحيتك ولكنه كان يقابل اباك دائماً. الشاب الذكي استولى على قلب ابيك، ويظهر ان اباك يلعب دور من آمن بالاسلام كيف يتعرف عن قرب على الانشطة الاسلامية.

قلبي يكاد يتوقف من شدة الانفعال. لقد اصبحت خطيبته.

مرت ايام وذهب الرسول الى المانيا، اما انا فبقيت لعدة ايام اتجول في استانبول قبل ان اغادر تركيا. بدأت اتجول في جميع المساجد واحدا واحدا. وفي تلك الفترة بدات اعرف سوزي علىالاسلام ولكنها لم تكن تستمع الي... فذهبت الى جارتي ... اصبحت استانبول تضايقني. كل انبهار الناس وشوقهم لان يكونوا عصريين ومحدثين. يحزنني. وفي يوم من الايام لم احتمل، وقد اضطررت ان اقول بعض هذه الافكار لعشرة اشخاص او خمسة عشر شخصا. ولما حكيت ذلك لجارتي اعترضت علي بشكل رقيق قائلة:

– انظري يا اختاه احذري ان تدخلي في اي نوع من الجدل او الحوار قبل ان تعرفي الاسلام جيداً، فسيسحقونك سحقاً لانك لا تعرفين الاسلام. سيسألون اسئلة متعلقة بالمنطق وفي نفس الوقت يهيئون كل شيء لسحقك.

– اليس الاسلام هو دين المنطق؟

– نعم هو دين منطقي ولكنه لم ينبع من المنطق.

– ماذا يعني هذا؟

– يعني ان الاسلام دين جاء عن طريق الوحي. ولا يمكن تعليمه دون ان يدرك جيداً. فكل شيء لا يمكن حله بالمنطق. وهناك كثير من الناس ارادوا تعلم الاسلام بلا مجهود او تعب، ولكنهم عندما لم يعانوا مشقة التعلم لم يستطيعوا ان يعرفوا حقيقة الاسلام.

فالشاعر يقول:

استراحوا في الظل وارادوا الجنة

اما نحن فنقول: ان الجنة لا تات الا ببذل العرق والجهد. وأنا أؤمن أنك لن تكوني مسلمة تقليدية ولكن ستكوني مجتهدة جداً.

– إذن بماذا تنصحيني في بادئ الامر.

– ليكن مبدؤك هو، النوم مبكراً، والاستيقاظ مبكرا، وتعلمي كل يوم عدة مسائل فقهية. واقرأي قصة، واقرأي وتعلمي كل يوم عدة آيات من القرآن الكريم. وعلمي الناس ما تعرفينه فقط، واحذري ان تتكلمي فيما لا تعلمين.

– ما معنى الفقه؟

– هو فرع من العلم يبين كيفية العبادة، الحلال والحرام.

– وما معنى السنة؟

– تطلق السنة على جميع افعال واقوال واوامر، ونواهي وتقريرات ونصائح النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يمكنك تعلم كل هذا في لحظات، ولكنك ستتعلمين كيفية تحصيل العلوم الاسلامية بمرور الوقت.

– أنت على الحق، ولكني اريد ان اتجول في شوارع استانبول واعدك باني ساتكلم بقدر ما اعلم. ولو شئت تعالي انت ايضاً.

– ليكن مادمت تريدين هذا.

– اريد ان ابدأ بجامع السلطان احمد.

– آه لماذا يوجد قفل على الباب؟

– الحكومة أغلقته.

– ولماذا؟

– السبب واضح أليس كذلك؟ ولكنهم يسضطرون لفتحه في يوم ما. أنا مواثقة من هذا. لان اي نظام لا يمكنه الاستمرار بالظلم. يقول الشاعر الكبير محمد عاكف في كتابه صفحات، للذين يخططون للتخلص من الاسلام تحت حجة التخلص من الفرنسيين والانجليز:

"ذهبت مرة الى اسواق اسطانبول.

تتحرك صرخة المتألمين. هكذا توجد الحرية.

لقد تركني المنطق الذي اوصلني لنقطة الغليان.

إن عقلي كان يختزن كل ما ارى في ذلك اليوم بصعوبة.

كأن كل من قيدوا انفكت قيودهم.

وكأنهم خرجوا من مستشفى الامراض العقلية المهدومة حالاً.

وخلفهم اهل المدينة بالمزامير.

يمشون وايديهم مرفوعة برايات السخرية.

واكثرهم عقلاً تظهر عليه علامات الجنون.

نعم ... لقد تحول الناس الى مجانين ومعتوهين.

لقد عبر هذا الشاعر عن الواقع خير تعبير. الحقيقة ان الناس تحيروا فيما وصلوا اليه من حال. تعال نذهب الى بائع الجرائد هذا لنقل له عدة كلمات.

عندما اقتربنا منه كان الرجل يصيح قائلاً:

– اقرأ! اقرأ! النجاح العظيم لفتاة تركيا الجميلة.

– في اي شيء نجحت هذه الجميلة؟

قال بائع الجرائد لقد حصلت على درجة متقدمة.

– بأي شيء؟

– خذي الجريدة واقرأي.

– ولكني اريد ان اتكلم معك... الا تحزن لاجل فتاة من بني وطنك تتعرى امام اعين الناس؟ لما بدأ هذا الامر في الغرب للمرة الاولى اعترض عليه كثير من المسيحيين. الا تستطيع الوصول الى درجة المسيحي؟

– آه أنت مسيحية. أما نحن فمسلمون. فهل فهمت؟

– كلا انت مسيحي يشعر بالسعادة بدلاً من الخزي لان بنات وطنه تتعرى.

ثم تركته وذهبت الى البقال الذي يبيع الخمر.

– مرحباً!

– اهلا ومرحبا ... تفضلي يا مدموازيل.

– اريد ان اسالك سؤالا. الا تعلم ان الخمر مضر بصحة الانسان؟

– نعم اعلم ذلك.

– الا تعلم بان السكارى يظلمون ابناءهم وزوجاتهم. وان الاف البيوت تهدم بسبب الخمر، والا تعلم ايضا ان الخمر محرم في الاسلام؟

– بالطبع اعلم هذا كله.

– مادام الامر كذلك فلم تبيعها اذن؟

– ان الدولة صارت حرة وديمقراطية. كل شيء مباح. والدولة هي التي انشات مصانع الخمر هذه.

– أإذا كانت الدولة بلا دين او ضمير، اتصبحون انتم مثلها ايضاً؟ خسارة! والله لا ادري باي وجه ستنظرون الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وخرجنا من عند البقال دون ان ننتظر الجواب.

وعند وصولنا الى ميدان بايزيد، قابلنا سيدتين ترتديان قبعتين على الطراز الاوروبي.

– هل يمكنني التحدث معكما لدقائق؟

– بالطبع تفضلي.

– لأي دين تنتسبان؟

– للدين الاسلامي بالطبع.

– هل انتما واثقتان من هذا؟

– بالطبع.

– فلم تقلدان الغربيات الملحدات إذن؟ عندي فضول ليس إلا؟

– آه، أنت أجنبية وتتحديث التركية بطلاقة.

– نعم أبي علمني. كان يريد أن يجعلني بذرة للالحاد في تركيا.

– ولكننا لا يمكن ان نكون ملحدات ابداً.

– إذن هل استمسكتما بشيء من الدين؟

دهشت السيدتان جداً. وكانت اجابتهما لا تستحق الذكر. فلم تكونا تعلمان بان الاسلام قد وصل الى حالة يرثى لها. ولم يكن الاسلام في دائرة اهتمامهما. ولم تكونا تلاحظان ذلك. كان هذا هو اكثر ما يحزن في الامر.

وفي ذاك اليوم سالت من قابلتهم هذا السؤال:

– هل انت مسلم؟

كان كل شخص يقول"نعم". ما اعجبها من امة! كان كل شيء قد انتزع منهم، ومع انهم بقوا بعيدين عن حقيقة الاسلام، الا انهم كانوا يظنون انفسهم مسلمين.

وصلنا في تجوالنا الى سوق بائعي الكتب القديمة. وعند دخولنا الى احد محلات الكتب القديمة اصابتنا الدهشة الشديدة. كان صاحب الدكان يهودي ومع ذلك كان يكتب على دكانه "بسم الله الرحمن الرحيم" كنت اعرف معظم الكتب التي يبيعها. كانت من الكتب التي تقول "لقد قتلنا الدين". كيف لا يرى المسلمون هذا؟ كيف وصلوا الى هذه الحالة؟

نعم، نعم تذكرت ما قاله ابي "لو قلنا للمسلمين ان دينكم سيء بدون مقدمات، سيزداد تمسكهم بدينهم. ولكن لكي نبعدهم عن دينهم بمهارة نبدأ اولا في جعلهم يخجلون من تعاليم دينهم". أيجوز هذا يا ابي؟ ايجوز ان نحارب دين الله؟ اتظنه لا يستطيع ان يقدر عليك؟ قلت لكل من قابلتهم "أتعلمون ان الحضارة الغربية سيأتي عليها يوم وتقضي على شرفكم؟" قال احد الشباب "آه أجنبية تأتي إلينا لتنصحنا" قال هذا

بغضب ولكن الشاب الذي كان يصاحبه قال له: لماذا تغضب الا يدل حالنا على هذا؟ انظر الى ما يكتب في هذه الجريدة. تقول يجب الغاء الزواج الديني عندنا كما تم الغاؤه في روسيا. حتى ان اتاتورك لم يتزوج الفتاة التي احبها لانها ارادت زوجا شرعيا. انظر الى بطل مثل اتاتورك قد تاثر بذلك" ها! عندما قال اتاتورك .... تذكرت. رايته، رايته في حفلة راقصة... وتصرف معي بمنتهى الرقة. تحيرت جدا لما رايته، ان تماثيله فيها مبالغة كبيرة. يظهرونه وكان طوله مترين مع انه اقصر مني. يجب ان نغضب من امثال هؤلاء النحاتين الذين يفعلون ذلك. واظن ان اتاتورك لا يعرف الحضارة الغربية جيداً بينما انا كنت اعرف الغرب جيداً. وهذا هو السبب الذي يجعلني اشفق على هذه الامة.

يا إلهي آه لو يمكنني انقاذ هؤلاء الناس واقول لهم "لا تنخدعوا" فالذين يريدون هدمكم يتعلمون جميع اللغات العربية، التركية، الفارسية ... لغة اللاز ويعيشون معكم ويختلطون بكم... فلا تنخدعوا وافيقوا!"

وفي مساء ذلك اليوم عدنا الى البيت. وعندما اردت وداع جارتي قالت لي: هل تغضبين لو قلت لك شيئاً. قلت لها : لا.

– أنت رائعة وفهمك على مستوى عال. ولكنك لم تفطني الى شيء وهو انك لو اردت تقريب هذه الامة من الاسلام ينبغي ان يكون هذا بالابتسامة، وبشاشة الوجه، وباسلوب غير مباشر، ولكنك تدخلين في الموضوع بشكل مباشر وتهاجمين الناس.

ينبغي عليك ان تتعلمين جيداً الاسلوب الذي اراد الله ان يعرض به الاسلام على الناس. والا فلو هاجمنا دائماً لانفض الناس عنا.

– انت على حق... ولكني لا استطيع التحمل. فلة انك كنت تعلمين ما اعلمه. لو كنت تعرفين الخطط، لعلك تسمعين عنها، ولكني رأيتها وهي تطبق وتنفذ. آه لو تعلمين ما رأيته آه؟!

– نعم ... المهم اني رأيت أبي وهو يتدلى من حبل المشنقة، ليس أبي فقط وإنما رأيت الاسلام لم يكن عاجزاً كأبي، ولذا لم يمت. نعم الاسلام لم يمت. لم يستطيعوا قتل الاسلام الذي نصبوه على منصة الاعدام.

# سوزي

كانت سوزي غاضبة علي بشكل مستمر، وفي تلك الليلة افرغت في شحنة غضبها.

– انظري يا ماريا! لا يمكن ان احتمل هذه الحماقات التي تفعلينها في حين انه يجب علي ان اجني ثمار سنوات عمل طويلة.

– ماذا فعلت؟

– قولي ماذا تريدين! عملنا وأجهدنا، انظري كيف حولنا امة كبيرة كهذه الى امة اوروبية. وجعلنا رجالها ونساءها يرتدون ازياءنا. لقد حدثت ثورة في الزي. انظري.. الموظفات يحظر عليهم تغطية رؤوسهم فهن في هذا المجال يزيدن عن اوروبا. ففي اوروبا مثلاً يمكن ان تعمل الراهبات المحجبات. ولكن هذا القطيع من الاغبياء لا يستطيع تحمل وفهم هذا القدر من الحجاب. لقد استطعنا التدخل في اقتصادهم. فماذا تريدين غير هذا يا ماريا؟ هل تريدين بلاءا من الرب؟

لقد افتتحت مصانع الخمر في هذه البلاد. القمار وبيوت الدعارة غير ممنوعة. الزواج الاسلامي محظور.

– ولكن العشيقة ليست محظورة. فلا مانع من ان يكون للاعزب اكثر من عشر عشيقات.

– لا تكوني غبية يا ماريا، لا تكوني غبية! انظري الى هذه المسارح وتلك السينمات، كلهم يعرضون فنوننا. اليس هذا نصرا بالنسبة لنا؟ في التكنولوجيا نحن دائماً في

المقدمة. والاجمل من هذا اننا جعلنا هذه الامة تصدق انها لا يمكن ان تتقدم تكنولوجيا ابدا. ابعد هذا النصر العظيم تسقطين في هذه الحيرة هكذا يا ماريا؟ من قبل كنت لا اتكلم ولا اهتم، ولكن اليوم خرجت الى الشارع تدعين للاسلام كالمجانين. ثم اتيت الي بلا خجل لتدعيني للاسلام. بالامس اسلمت. وتتفاخرين علينا وكانك تعرفين كل شيء عن الاسلام. كفاك! لا استطيع احتمال حالك هذا.

– اسمعي يا سوزي. انا لا احكي عن الاسلام ولكني اتكلم عن استغلال الغرب. اقول اننا قوم نحاول ان نغتصب حقوقهم هل فهمت؟ هل تستطيعين ان تخبريني لماذا جاءت بن روبي من آخر أوروبا الى هنا، لماذا؟! الكي تكون محكمة في مسابقات ملكات الجمال؟! اتظنين ان هدفها الوحيد هو هذا الامر؟ بن روبي جاءت عندما تعرت فتيات هذه الامة. اتظنينها كانت تاتتي لو احتشمت هؤلاء الفتيات؟ ها؟ اي حضارة واي انسانية تلك التي تجعلهم يحاولون كل هذه السنين لكي يفصلوا هذه الامة عن دينها؟ لقد عاش المسيحيون قروناً عديدة في كنف هذه الامة. ومع ذلك لم يعملوا اية الاعيب لكي يفصلوا لامسيحيين عن دينهم.

– لا يا عزيزتي! الم يحاولوا ولو قليلاً ان يجعلوهم مسلمين؟

– ولكنهم لم يعملوا ابداً لكي يجعلوا الفتيات المسيحيات عاهرات. ولم يركزوا مجهوداتهم لمحو وجودهم ... فدعوتهم للاسلام امر طبيعي جدا ... وهذا لانهم يريدون للناس ان يعتنقوا الدين الحق.

ولكن الحضارة الغربية تريد ان تجعل هؤلاء الناس ملحدين. يضمرون لهم العداوة، ويظهرون الصداقة، ولا يكشفون عن هدفهم الحقيقي. اما هم فمتى ارادوا الحرب، كانوا يتصرفون بشكل مكشوف ويفصحوا عن نياتهم.

– يكفي!!! كفاك يا ماريا، كفاك فأنا لا اريد ان اراك في وضع من يدافع عن المسلمين هكذا. يالك من غبية! مع ان من يراك يظنك ذكية.

– ما اجمل تفكيرك، فانا ذكية بالفعل.

وفي تلك اللحظة دق جرس الباب فقلت لعلها جارتي. ففتحت الباب. أه من هذا؟ من الذي حضر؟ محمد. فجأة دارت رأسي.

– ماذا هناك يا محمد؟

– جئت لاتحدث اليك.

– في اي موضوع؟

– تعلمين هذا. بخصوصنا نحن الاثنين.

– نحن الاثنين؟ لم يعد هناك ما يسمى نحن الاثنين. يوجد كثير من الناس في هذه الدنيا ولكن لم تعد هناك قيمة لكلمة نحن الاثنين. أما اذا اصبحنا منفصلين تظهر قيمة كل منا على حدة.

– انظري يا ماريا! انا حزنت جداً لانك اسلمت. ولكني مع ذلك اقبل الزواج منك.

– ياه... ومن هذه التي ستتزوجك؟

في الاصل كان يضايقه اسلامي. فقرر الزواج مني كي يجعلني سلبية وعديمة التأثير. كان لا يحتمل ان تسلم فتاة مسيحية ولكنه كان سعيداً بان يصير آلاف المسلمين ملحدين. كنت ادرك ذلك ولكني ادعيت عدم معرفتي بذلك وسالته:

– اين ما كنت تدعيه من انك لا تريد ان تتزوج متدينة؟

– ولكنك مختلفة.

– أهذا هو انت. انك لم ترد الزواج بي وانا مسيحية، والآن وبعد أن أسلمت تريد الزواج مني وتغتر هكذا وكأنك لا مثيل لك، وتتكبر هكذا وكأنك تمن علي بزواجك مني. اعلم جيداً انك حتى لو اردت الزواج مني فلن اقبل هذا ابدا. فانا مخطوبة على اي حال.

– لا يمكن ان يكون هذا حقيقي.

– بل هو عين الحقيقة. اقسم بذلك.

– اهو ايضاً متدين؟

– نعم بل انه شديد التدين. انك تعرفه.

– من هو؟ فانا لا اعرف احد بهذا الوصف؟

– انه عبد الوهاب.

– لا يمكن، فله خطيبته.

– لقد ماتت خطيبته.

– كيف وجدك عبد الوهاب؟

– أنا كتبت له. إن دمي كان يغلي من اجله. وكنت شديدة الارتباط به.

– هذا يعني ان حبك لي كان كاذباً.

– لا لم يكن كاذباً، وإنما كان نوعاً من الهراء. وبعد كل الدموع التي سكبتها، والايام التي انتظرتها. انا اؤمن باني وجدت من يناسبني.

– ياله من خسيس لا شرف لهّ يعني انه اراد الفتاة التي احبيتها؟

– لا يا هذا. اتظنك كنت قد استوليت على هذه الفتاة وسجلتها باسمك؟ ان الذين تنتسب اليهم يستدرجون النساء المتزوجات الى مخادعهم. فهل وصفتهم بعدم الشرف؟ ثم انك لم ترتبط بي باي نوع من الارتباط. وطلب يد الفتاة الغير مرتبطة ليس حراماً في اي دين. فلا توجد علاقة بينكما اصلاً .... خلاصة القول، من فضلك، اذهب يا محمد

– ولكن ما تفعلينه بعيد كل البعد عن الانسانية.

– لا اريد ان اتعلم الانسانية منك. فالانسانية مفهومها مختلف تماماً عند كلينا.

– لا تفعلي هذا يا ماريا!... ولو اني اخطأت، فانا اعتذر.

– اعتذارك شيء جميل، ولكن. أنا لست لك.... أعطيت وعداً، ولا يمكن ان ارجع عنه. ث٤م اني لا يمكن ان اتزوجك. فانت كالذين تتبعهم تماما، لا ترضى بالزواج الشرعي، ولكنك تجد لنفسك حبيبة وبعد ان تجعلها تحبك، تهرول الى اخرى وهكذا. وعلى اية حال فالقانون في صالحكم.ممنوع الارتباط بامرأة اخرى عن طريق الزواج. أما العشيقة فغير ممنوعة حتى لو وصل عددهم الى عشرين. محمد انتم لا مقياس لكم. نعم، لا مقياس لكم. فانتم تقولون لا لكل قواعد الاسلام. وتقولون نعم لكل الذنوب والآثام. وانا لا يمكنني التقرب ممن لا راي له وبعيد عن الله مثلك، وما بدأناه

بالمعروف انهيناه بالمعروف. مع السلامة يا محمد. آمل ان تعود الى الله وتترك هذه الاصنام. والمعبودات الاخرى.

ذهب محمد. ياللعجب، لم ابك ولم احزن. ياللعجب! كيف انفصلت عنه مع اني كنت اقول "انني لا يمكنني ان احب اخر حتى لو مت" وهذا انما يعني؛

الانسان يفتخر، الانسان يبكي ويتالم

القلب عالم مجهول، يعود ويصدر صوتاً كالخرير.

وروح الانسان تتغير حسب الاحداث.

فمن تحت اليوم تقتله في يوم ما.

هاجمتني سوزي مرة اخرى بجنون. لم تستطع ان تستسيغ اتجاهي هذا. لم اعد اريد الجدل. ولما استمرت في الكلام بلا توقف على مائدة الافطار، صرخت فيها لدرجة ان صوتي احدث رنيناً هائلاً:

– كفى يا سوزي. كفى! دعك من الدفاع عن القتلة، واتركيني.

– من تقصدين بالقتلة؟ كوني حريصة في كلامك.

– لهم، لمن انت منهم. بالطبع انهم قتلة. فقد سمعت ابي باذني وهو يقول "اننا سنجر المسلمين لمحاربة بعضهم، ينبغي علينا ان نجعلهم يقتلون بعضهم".

فهل حدث ان فعل المسلمون هذه الخديعة؟ هل جعلوا احد المسيحيين يقتل آخاه؟ ان اهل الغرب يفعلون ذلك لمضاعفة مبيعات السلاح... تصوري، إن امريكا والغرب

الذي لا يعطي الفرصة للدول الاسلامية لتصنيع السلاح. يعملون ليل نهار في صناعته. لمن يصنعون هذه الاسلحة اذن؟!

استيقظي يا سوزي. استيقظي!! ان في ايديهم اسلحة يمكنها قتل ملايين البشربل المليارات في دقيقة واحدة. وكذلك في ايديهم اسلحة تمكنهم من القضاء على العالم عدة مرات ... لمن كل هذه القنابل؟! ولماذا؟ انهم يفتخرون بقولهم اننا تقدميون بهذه القنابل التي صنعوها لقتل البشر؟! افتحي عينيك يا سوزي.

لم تكن لتصغي الي مهما قلت من كلام. فنهضت وذهبت الى جارتي ... كانت متفتحة وصاحبة احساس وشعور مرهف. لم ار لها مثيل. كانت سيدة متفردة. ولكن هذه الاخت وحدها لا تكفي لهذا الأمر. انه يحتاج الى ملايين من الاخوة والاخوات.

عندما كنت اضغط على جرس باب جارتي، كان صوت القرآن ينبعث من الداخل، ما اعظمه من كتاب! فحتى لو لم يعلم الناس معناه. فإن له تاثير عجيب على روح الانسان. جاءت وفتحت الباب. كان وجهها ينبئ عن شيء حزين. قالت لي "تعالي يا اختي العزيزة" فدخلت.

– ماذا كان يقول القرأن الذي كنت تقرأين؟

– اذا كنت شغوفة بمعرفة هذا فتعالي اقص عليك.

جلسنا على سجادتين متقابلتين. وبدأت تشرح لي معنى السورة القرآنية التي كانت تقرأها.

– انظري الى سورة الماعون. يقول الله جل وعلا فيها بسم الله الرحمن الرحيم "أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون" (سورة الماعون).

الله سبحانه وتعالى يبين هذه الآيات الذين يهضمون حقوق اليتامى، والذين لا يدعون الى بذل المال للفقراء، وكذلك المنافقين الذين يظهرون الاسلام، ويبطنون الحقد عليه، ولا يقيمون الصلاة حقها.

– حقاً إنه لشيء عجيب. وهل يعرف الذين لا يساعدون الفقراء هذه الآيات؟

– لا. فهم لا يهتمون بالقرآن.

وقصت علي جارتي اشياء كثيرة... أنا لا اشبع من حديثها ... ولكني راحلة. آه لو اجد في المانيا من تتحدث الي مثلها. ولكن لا يهم فانا ساتزوج عبد الوهاب وساتعلم منه .... وسيصبح زوجي واستاذي في آن واحد.

ذهبت الى محطة القطار في حيدر باشا وانا حزينة ومتحيرة لتركي استانبول. حضر معي لوداعي، جارتي، وسوزي، وعدد من الصديقات. كنت سأذهب بالقطار إلى انقرة ومنها الى ألمانيا.

آه يا دنيا، ها أنذا أعوذ من استانبول كصديقة، مع اني ارسلت اليها كي اناصبها العداء.

سوزي حزينة جداً ... ليس لذهابي ولكن لاني اسلمت. فجأة قالت لي: "أنا متأكدة أنك ستتركين الاسلام بمجرد عودتك الى المانيا".

فقلت لها وانا ارتعد:

– العياذ بالله. بالعكس يا سوزي. فانا ساكون مسلمة كما ينبغي.

وقالت جارتي كلاماً لم تقله في الايام الماضية.

– حتى انها ستغطي شعرها وتغير اسمها.

– ولكنني وازلت شابة فهل يجب على الشابات ايضاً ان يغطين شعورهن؟

– بالطبع يا بنيتي فالمرأة المسلمة سواء كانت شابة أو عجوز يجب عليها ان تغطي شعرها حتى أن ذلك أوجب بالنسبة للفتيات. أما النساء المسنات فهناك بعض الاحكام في الاسلام تعطيهم الحق في ترك ذلك.

– فلماذا لم ار فتاة محجبة مثلك في استانبول؟

– تعلمين انهم اعطوا الشباب احساساً بان "السفور علامة على العصرية" وهل بقى الدين كي يبقى الحجاب؟ الن تتعرفي على بلدنا بعد؟ لقد صدر تصريح باباحة بيوت الدعارة في هذا البلد. فتياتنا يبعن. شبابنا يدفعون كي يحصلوا على هذه المرأة أو تلك. فتصبح هذه المرأة عاهرة. ثم يصف الشباب نفسه بأنه مسلم. ويقول عن هذه المرأة أنها عاهرة. فهل بقي للحجاب مكان في بلد تفسد بهذه السرعة يا عزيزتي؟

– لماذا لم تطلبي مني ان اتحجب حتى الآن؟

– تصورت ان هذا قد يصعب عليك. فالحجاب أمر صعب بالنسبة للفتيات والبيئة التي يعيش فيها الانسان تؤثر فيه. وتسبب له الغواية.

– ليغضب الناس. أو ليكن ذلك صعباً. فهذا كله غير مهم. مادام ربي يريد ذلك فلم لا ارتدي الحجاب إذن؟

كان القطار سيتحرك بعد عشر دقائق. آخ. ماذا أفعل الآن؟! أرى معك حجاباً تحت الجلباب فهل تعطيني اياه؟

– كيف لا، خذيه يا عزيزتي. يكفي ان تغطي راسك، فانا مستعدة ان اعطيك حياتي كلها.

اعطتني حجابها. وغطيت راسي. الآن اصدق اكثر اني مسلمة، فانا الان اصبحت اشبه المسلمات.... الناس سينتقدونني. ولكن هل ساعيش كما يريد الناس. اين شخصيتي اذن.

سوزي تضايقت جداً، وكانت تصيح بلغتها التركية الضعيفة كي تسمع جارتي.

– انت الآن تشبهين المرأة المتزوجة. بل واصبحت امرأة عجوز!

– ليس المهم بالنسبة لي نظرة الناس إلى. وانما المهم هو نظرتي أنا إلى نفسي. فماذا يحدث لو رأوني عجوزا؟ فأنت مثلاً لا يمكنك تمييز شكلك من بين عشرات الاصباغ التي تلونين بها وجهك. ولكنك غير موجودة ولا يمكن رؤيتك من بين هذه الاشياء. فالاصباغ هي التي تلفت النظر اولا ولست انت.

آه القطار على وشك الانطلاق. عانقتهم جميعاً. وأخذت مكاني في القطار. عند حضوري الى استانبول كنت اجلس في ناحية اليسار وكانت فكرية في مواجهتي. القطار ينطلق الآن. كانت جارتي تبكي حزناً على فراقي أما سوزي فكانت تبكي لانها ضيعتني من يدها ... وأنا ايضا كنت ابكي لحال الدنيا العجيب، ولاهل هذا البلد. مساكين!!! لقد وقعوا في شرك يصعب عليهم رؤيته وهم في هذه الحالة... فهم الذين جاؤوا بالنظام الذي حولهم الى ملحدين، وهم الذين يصنعون الخمر التي تسكرهم، وهم الذين يعطون لابنائهم شهادات العهر والفجور التي يوقعونها لهم باسم الوطن، يعدمون الأئمة، ويقابلون بن روبي وأمثالها بالأحضان. ولكنهم وهم يفعلون كل ذلك كانوا مضيعين ومخدرين لدرجة أنهم لم يفكروا في كون هذا خطأ أو لا؟

نعم ما أوجب أن يبكي الانسان على هذه اللوحة المريرة.

كنت انظر الى استانبول للمرة الاخيرة واقول:

لقد أذابوا روحي ثم جمدوها في قالب ووضعوها في تراب يقال له استانبول

تحت الزهرة مياه مزركشة والشمس والقمر منذ الابد استانبوليتان

أيها الشاعر العظيم! هل رأيت إلى اي حال اوصلوا استانبول؟

الآن الشمس والقمر يبكيان من أجل استانبول. يبكيان لاجل هذه البلدة.

# عدت إلى ألمانيا

بمجرد ان نزلت من القطار استأجرت تاكسياً وذهبت الى عبد الوهاب. ولما رآني سعد بي جداً.

– مرحباً بك ... مرحباً بك في الاسلام، ومرحباً بك هنا يا ماريا. ما اجمل ان اراك.

– ولكني لم اعد ماريا، لقد غيرت اسمي.

– بالفعل هذا امر يناسبك. واي اسماء اخترت؟

– سلوى

– ماذا! أتجدين؟

– نعم أقول لك الحق. لقد كنت أقدر هذه الفتاة... وأنت أيضاً كنت تحبها، ففكرت ان اهديك اسمها وروحها متمثلات في شخصي.

– ولكن يمكنك ان تغاري منها.

– لا لن أغار. لو كانت بعدي لغرت منها، ولكنها عندما كانت موجودة في عالمك كنت انا غير موجودة فيه.

كان عبد الوهاب يتحدث إلى بعينين يملأهما لاحب هكذا لاول مرة.

– كيف حالك يا ماريا ... آسف أقصد يا سلوى؟

– أنا بخير... وأنت؟

– وأنا أيضاً بخير ... كنت انتظرك بشوق. صدقيني إنني ايضاً كنت اتعجب لحالتي تلك. هيا تعالي نذهب الى ابيك.

– هل علاقتكما على ما يرام؟

– نتحاور ونتناقش دائماً.

ذهبنا معاً. عانقت ابي وأمي. كانت امي تبكي بحرقة.

– لماذا تغطين رأسك كالمسلمين يا ماريا؟ أم أنك شغوفة بهم لهذا الحد؟

– نعم انا اهتم بهم يا امي.

– هل رأيت يا استاذ ألأم أقل لك أنه لا يجب علينا ان نرسلها الى بلد اسلامي. واه يا ماريا واه! تأثرت بهم.

– لا يا أمي، لا يوجد مسلمون في البلد الذي ذهبت اليه. رأيت فقط عدداً قليلاً من المسلمين.

– أيمكن ان يحدث شيء كهذا؟ ماذا حدث للخنازير الذين يعيشون في هذه البلد!

– أ/ي إنهم ليسوا خنازير. احرصي في كلامك. وإذا أردت ان تعرفي ماذا حدث لهم فاسألي ابي. فأبي يعرف ما حدث لهم جيداً.

نظرت الى ابي محدقة وسألته:

– أليس كذلك يا أبي؟ ألست تعلم ماذا حدث لهؤلاء المسلمين؟

– دعك يا ماريا من هذا الجدل العقيم، وتعالي اجلسي وقصي علينا ماذا فعلت؟ كيف مرت الشهور التي قضيتها هناك؟

– مرت على الشهور وانا مستغرقة في التفكير.

– ماذا فعلت مع محمد؟

– لم يعد هناك احد اسمه محمد في حياتي. دعنا منه.

وجدت أمي الفرصة سانحة للهجوم فقالت:

– هكذا لامسلمون، فماذا تنتظرين منهم غير ذلك؟

– وهل غير المسلمين احسن حالا يا امي؟ ومع ذلك فهو غير مسلم. إنه يحتقر دين الله، إنه مسكين يؤلمه البشر!

– ماذا ... ماذا قلت، دين الله؟

– نعم يا امي دين الله.

– هل هناك دين لله غير الانجيل؟

– ما تقصدينه هو دين متى ومرقص ولوقا ويوحنا وليس دين الله يا أمي!

– ماذا تعنين بهذا الكلام يا ماريا بالله عليك، ماذا تقصدين؟

– أنا أسلمت يا أمي.

– آه ... لا يمكن! لا يمكن!!! حرام عليك اللبن الذي ارضعتك.

– ولم لا يا أمي؟ ألم تكوني تقولين أنت وابي وكلكم ايضا كنتم تقولون "كل انسان يفكر كما يحلو له"؟ والآن أنا أفكر كما يحلو لي. فلماذا تغضبين إذن؟ أما بالنسبة للبن الذي ارضعته لي. فالله هو الذي منحك هذا اللبن. ولذا يكون هذا اللبن حرام علي إن أنا خالفت طريق الله.

– لماذا يكون لله؟ الم يخرج هذا اللبن من صدري؟

– ماذا يعني هذا؟ هل انت التي خلقت صدرك؟ وهل أنت التي أنشأت له مصنعاً كي ينتج هذا اللبن؟ وهل انت التي خلقت الفواكه والخضروات التي تنتج هذا اللبن؟ هل انت التي منحت كل ذلك؟

هذا اللبن حلال عليا طالما اني اسير على طريق الله، ومع هذا فانا اشكرك لانك ارضعتني يا امي! فعلى اية حال ماذا كنت افعل لو انك لم ترضعيني كي لا يترهل ثدياك كما تفعل بعض الامهات. عموماً شكراً لك يا امي، وسأحفظ لك هذا الجميل.

– يا إلهي!! يا إلهي!!! لا استطيع تحمل هذا الالم!

تركتني امي وارتمت على المقعد... وعندما رأتني اصلي في المساء ثارت وبدأت تضربني وأنا أصلي. كانت تضربني بجنون.

– خذي هذه لاجل عيسى، وهذه لاجل مريم، وهذه لاجل الاهبة تيريزا، وهذه... وهذه... وهذه لأجل الكنيسة.

لم اكن اهتم بهذه الصفعات. فعبد الوهاب كان قد حكى لي عما عاناه بلال الحبشي، والسيدة سمية، واسرتها من العذاب. فماذا لو عانيت انا ايضاً بعض الشيء؟

كان اخي بيل ايضاً ينضم لامي، كانوا دائماً يظلمونني ويقولون لي "اخرجي من بيتنا". بدأت اشعر بالضيق فذهبت الى عبد الوهاب كي احكي له آلامي كنا سنعقد قراننا ونتزوج بعد شهر، ولكني قلت له لم لا نتزوج الآن كي أخرج من هذا البيت؟

– ماذا تقول يا عبد الوهاب؟ فنحن على اية حال سنتزوج بعد شهر. أنقذني في اقرب فرصة. ولكنك تبكي. ما السبب في بكائك هذا؟ ماذا يبكيك؟ ماذا حدث؟ تكلم.

– لا تسألي يا سلوى، لا تسألي. لا ادري هل احزن ام افرح ... لقد تسلمت خطابا أدهشني.

– ماذا في الخطاب؟

– كل شيء.

– تكلم ماذا في الخطاب؟

– سلوى مازالت على قيد الحياة.... سلوى لم تمت.

– ماذا ... سلوى تعيش؟!

– نعم ... تعيش يا إلهي كيف يحدث هذا؟ لقد دخلت في طريق مسدود. لا أدري هل أفرح لخبر حياة سلوى أم أحزن؟

سقطت في مكاني، فلم تستطع قدماي ان تملاني. فقد شعرت بصدمة. واستطعت ان اسال بصعوبة:

– كيف حدث هذا؟ ولماذا قالوا انها ماتت؟

– لم يرسلوا عنها اية اخبار من السجن لعدة شهور. ثم قالوا انها ماتت. ولكنها خرجت الاسبوع الماضي.... كانت خائرة تماما فقد عانت من الاضطهاد لشهور.

– والآن ماذا سنفعل يا عبد الوهاب؟

–لا لا أدري ... لا أدري. فانا في حيرة بمعنى الكلمة.

– حاولت ان اجمع شتات نفسي وقلت له:

– وما الداعي للحيرة؟ فانت من حقها. اذهب وتزوج بها. فلم يبق على تخرجك إلا شهر واحد على كل حال.

– وأنت ... وأنت.

–لا تقلق بشأني. لن تنتهي دنياي بابتعادك عني. وفي يوم ما بالتأكيد ستنتهي كل آلام الدنيا هذه. ربما لا اتزوج... ولكن يجب علي ان اجد مكاناً ألجأ اليه. ربما اذهب الى جارتي في استانبول. اذهب انت يا عبد الوهاب! اذهب!!

– لكني كنت ساقول لك شيئا آخر.

– لا تقل اي شيء. فهذه الفتاة قد عانت كثيراً. وهي أختي في الدين. وأنا اريد لها السعادة في ايامها القادمة.

وعدت باكية... وبقيت وحدي في السيارة ابكي بحرقة.

عبد الوهاب! ما هذا، ما هذا الحب؟! الدنيا بدونك هنا ستكون مظلمة وضيقة ... يا إلهي! ماذا سأفعل في هذه المينة الكبيرة؟ انتهيت!!! يا الهي لقد انتهيت! امنحني الصبر يا رب ... وامنح قلبي السعادة يارب...

لا ادري كيف قدت السيارة. ولما وصلت الى البيت كانت عيناي متورمتان من البكاء وكان شكلي متغيراً تماما.

وبمجرد ان رأتني امي قالت لي:

– ايتها لامسلمة القذرة. ايتها الخنزيرة لماذا تعودين الى هذا البيت. فابكتني مرة اخرى، وظللت ابكي. فقالت لقد انتقم منك عيسى. فلن تعرفي طريق الابتسامة بعد ذلك ابداً.

– فلم لا ينتقم عيسى من الملحدين والشواذ جنسياً من النساء والرجال، ومن اللادينيين؟ لو كانت له هذه الخاصية لانتقم منهم أولاً. لا تحاولي معي وعودي الى الله يا امي.

– انتظري يا ماريا. لو دعوتني الى الاسلام كانك تمزقين شرفي برصاصة. فاحذري ان تفعلي هذا مرة اخرى.

– مرحى يا امي .... فانت والله تتمتعين بشخصية افضل من المسلمين الذين يشعرون بالفخر عندما توجه اليهم الدعوة للالحاد!!!

# دنياي التي تتغير في كل لحظة

حضر ابي... دخل الى القاعة التي في وسط البيت. فذهبت اليه مهرولة.

– مرحباً يا ابي، كيف حالك؟

– انا بخير يا سلوى.

كانت امي تقف هي وبيل وسمعا ابي وهو يقول لي يا سلوى فردت امي بغيظ:

– لا تقل لماريا (سلوى) مرة اخرى هل فهمت؟ والا خلقت مشاكل انت في غنى عنها. اذهب واشكوك.

– وما هذه الشكوى، ولمن؟

أجاب بيل:

– أنت يا ابي الذي حاولت تنفيرنا من هؤلاء المسلمين لسنوات لا يجب ان تقول لماريا يا سلوى. فهي ماريا. وستظل دائماً ماريا. وإلا تخرج من هذا البيت وتذهب الى حيث شاءت.

فاجاب ابي قائلاً:

– ولم لا تذهب انت يا بيل؟

– ابي!

– نعم يا بيل.

– هل انت واثق انك طبيعي؟

– نعم ولدرجة لم اصل اليها من قبل.

كانت عيناي تدمعان من شدة الفرحة، فابي يدافع عني في هذه الدنيا التي بقيت فيها وحيدة....

فتوجهت اليه وانا ابكي وتعلقت بعنقه.

– أبي! أسأل الله أن يمنحك الهداية يا أبي فقد أصبحت لي صديقاً ورفيقاً في وحدتي هذه. لن انسى هذا الجميل لك ابداً يا أبي.

– منذ قليل مررت بعبد الوهاب. سيذهب غدا إلى مصر. تعالى نخرج قليلاً، ولنتحدث معه لعلك تشعرين بالراحة. ودعك من هؤلاء.

– لا أفهمك يا أبي. تتحدث وكأنك أصبحت مسلماً.

– ربما أكون كذلك. فما وجه الغرابة في ذلك؟

بدأت أمي تصرخ باعلى صوتها:

– يا إلهي ... أظنني سأصاب بالجنون. بل انظر الي يا بني هل ترى علي علامات الجنون؟

– دعك من هذا الهراء يا امي! فمن ينظر إلي ايضاً يجدني كامجانين انظري الي، انا اقطب حاجبي تماما كالمجانين.

امي وبيل كانا على وشك الجنون وانا ايضا اوشكت على ذلك. ماذا حدث لابي؟ ام انه يقوم بحيلة ما!

في المساء ذهبنا الى عبد الوهاب. كان في حالة يرثى لها. وقد اختنقت كل المعاني التي رأيتها في وجهه عند عودتي مباشرة، وحلت محلها معاني ميتة. دعانا إلى غرفته لاول مرة. احضر الشاي وقدمه لنا.

– سلوى! هل تعلمين ان اباك يدرس الاسلام؟

– لا يمكن. يا إلهي. أهذا صحيح؟ كيف يحدث هذا؟

– لا أدري ولكني أراه قد فكر في الامر.....

– ما اسعدني ... كم كنت في احتياج لخبر سعيد في ايامي الحزينة هذه ... وما اسعدك يا عبد الوهاب فلقد كنت سبباً في اسلام ثلاثة اشخاص قبل مرور عامين. فاذا كان ابي قد بدأ دراسته حول الاسلام فإن ذلك يعني ان كل شيء اصبح على ما يرام.

نظرت الى وجه عبد الوهاب.... فاجابني وهو يبتسم ابتسامة غاية في المرارة.

– نعم ولو اسلم ابوك لاسلم شخصين او ثلاثة في عامين او حتى في عام واحد. فانا فرد واحد. ومنذ ان حضرت الى هنا كنت سببا في اسلام شخصين. اتعلمين ان هناك اشخاصا جعلوا الملايين من المسلمين بلا دين .... ان الفرد الواحد من اللادينيين او من يقال عنهم العصريون جعلوا آلاف المسلمين بلا دين. الحقيقة انك لو كان اسلامك انت وابيك حقيقياً لكان خيراً من الآلاف الذين لا دين لهم. ولكن النتيجة في النهاية سوف تكون ضدنا.

بعد ان تكلمنا كثيراً، كنت انظر الى عبد الوهاب نظرات زائغة وهو ايضاً كان ينظر الي نظرات حزينة رغماً عنه. كنت اتمالك نفسي بصعوبة كي لا ابكي ... وسألت:

– عبد الوهاب! من فضلك هل يمكن ان تبين لي طريقاً صحيحاً كي امشي به في طريق الاسلامبشكل صحيح؟ وليكن برنامجاً يعينني حينما لا اجد رفيقاً أو معلماً.

– انت على حق يا سلوى.... فمن يدري، بماذا تفاجئ الحياة الانسان ... فهناك احياناً اشياء تكون لها حلول، واحيانا تحدث اشياء لا حل لها... اذن نات بكراسة وقلم ونعمل قائمة عمل.

احضر دفتراً جميلا وكتب في صفحته الثانية بعناية "برنامج الحياة" ثم قال:

– آه لقد أخطأت. فبرنامج الحياة ليس بيد احد. فالذي يحددبرنامج الحياة لسنا نحن، وانما نحن نضع برنامجاً نراعي فيه الزمان والمكان اللذان نعيش فيهما.

– وكتب في الصفحة الاولى "معنى العيش ببرنامج"

– وبدأ يحدد لي ما يجده مناسباً لي.

أولاً: عندي لك عشرة وصايا مهمة. مهمة جداً غاية في الاهمية:

١– مهما عانيت من اضطهاد، فاحذري ان تشعري بالندم لانك اسلمت. وإن شعرت بالندم، فتوبي فوراً.

٢– لا تعادي ولا تبتعدي عن اي من الفرق الاسلامية الموجودة في العالم، فظهور هذه الفرق كان نتيجة لاختلاف في التأويل. فان هم ابعدوك فلا تبتعدي عنهم. وايدي

الجوانب المفيدة والحسنة لكل فرقة. واعلمي ان اصحاب التعصب الاعمى لا يباركون عمل اي فرقة اخرى، حتى وان كان عملهم هذا ايجابياً، ولا يتمنون لهم التوفيق وإن كان عملهم مفيداً، فاحذري ان تكوني من هؤلاء.

٣- واظبي على قراءة احد كتب العلم الاسلامية ساعتين كل يوم على الاقل. واجعلي هذا مبدأ لك في الحياة. لا تنسي كل يوم ساعتين على الاقل واتخذي دفتراً تلخصين فيه ما يعجبك من الافكار التي تقرأين.

٤- احذري ان تتكلمي فيما لا تعلمين.

٥- اقيمي شعائر دينك حتى ولو لم تنبع من داخلك.

٦- لا تنسي الذكر. انظري الى ما يامرنا به الله. استمعي الى هذا الامر بعناية. وانت ايضاً ايها القارئ. لكي تثبت الايمان في قلبك يقول الله جل وعلا في كتابه العزيز "ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب" (الرعد آية ٢٧)... "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد الآية ٢٨).

وموضوع اطمئنان القلب هنا موضوع واسع جداً، فايمان القلب لا يستقر الا بالذكر. فالايمان انما يقوى بالذكر. والذكر يولد الراحة في القلب.

فانا رايت الكثير من السائرين على طريق الله ينتقدون الذاكرين اثناء سيرهم، بدعوى ان هذا الامر لا يناسب العصر، وليس هذا هو الزمان المناسب له، ولكنهم وصلوا

الى مرحلة لا يذكرون الله فيها. ولا تنسى ان تنتحي احد الاركان كل يوم نصف ساعة على الاقل ورددي (الله، الله، الله) وليكن في سرك، أو جهراً كما شئت ولكن من الافضل ان يكون هذا سرا في قلبك.

واذا استطعت ان تزيدها الى ساعة كاملة فهذا افضل، فاذا ذكرت الله ثقي انك لن تشعري بالوحدة ابدا في الدنيا وكذلك في الآخرة ... فالله قريب من عباده دائماً، ولكن اجمل انواع القرب هو الوقت الذي يجد العبد فيه نفساً قريباً من الله.

ولكن أثناء الاذكر يجب ان يكون قلب المسلم واعياً... وان ينقي قلبه في بحر النور. والا فان القلب لن يستطيع تحمل هموم الدنيا التي تمزق الانسان.

احذري يا سلوى، احذري ان تهملي الذكر، فالله تعالى يقول "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" ولا ستقعين دائماً في شبهات كثيرة، وستحيط بك الغفلة، وتصلين الى درجة لا تستطيعين معها التحكم في نفسك. ولا تهوني من شأنك. فاحساس المرء بالعصيان شعور تحمله النفس مترسخ فيها. فإذا لم تتحكمي في النفس لصار عالمك الداخلي في حالة من الفوضى. ثم لا يمكنك مقاومة هذه الفوضى... كل يوم، نعم كل يوم ... لابد ان تختلي بالله. العبد دائماً مع الله. ولكن لو ان العبد عمل على ان يخصص بعض الوقت لكي يكون مع الله ويشعر بهذه الكينونة بمعناها المجازي، فإنه سيشعر بالفيض الالهي، وسيشعر بالقرب من الله، وبالارتياح، وينقي قلبه من الكثير من الآلام والمشاق.

٧- لا تبتعدي عن المحبين لله. لعلك لا تصادفين محبي الله في هذه الايام ولكن ثقي أنهم سيزدادون في يوم ما.

٨- اعلمي ان هذه الدنيا زائلة، وأن العالم الآخروي أبدي لا ينتهي.

٩- اعلمي انك لو صادفت آية لم تفهمي معناها. فان هذا يكون بسبب عدم ادراكك للوجه الآخر لهذه الآية. ولا تنسي أن الآيات ينظر اليها منم ثلاثة أو أربعة وجوه مختلفة. والنظر فيها يحتاج الى قدر من الخبرة، والاسلام دين سهل ولكنه يحتاج الى المجاهدة. فلابد من بعض العرق. فهو يحتاج الى اخلاص وجدية.

١٠- العالم مضطر للعودة الى الاسلام. بلغي هذا للناس حتى آخر يوم في حياتك. وتعلمي كيف تستريحين عندما تشعرين بالارهاق. واعلمي ان الصحابة كانوا ينامون مبكراً ويستيقظون مبكراً،. ومن لا يعيشون على سنة النبي ينامون متأخراً ويستيقظون متأخراً. يجلسون ليتناقشوا حول امور الدين حتى الصباح. ولكنهم لا يعلمون انهم لم يتخذوا بعد مبادئ الدين كقانون لحياتهم. فاحذري ان تكوني هكذا. والآن نأتي للبرنامج.

١- من الافضل ان تقومي بالذكر بعد صلاة الصبح مباشرة. وتستمري حتى طلوع الشمس أو بعد ذلك.

٢- تعلمي كيفية قراءة القرآن الكريم.

٣- تعلمي دروس العقيدة. ربما لا تعلمي اليوم معنى ذلك ولكنك ستعلمينه غداً.

٤- اقرأي الفقه. وابحثب عن استاذ ذي علم وتقوى، فان لم تجدي يمكنك الاعتماد على كتب الفقه. ولا تنسي ان العبد مسئول عن تصرفاته.

٥- اقرأي التاريخ الاسلامي.

٦- اختاري لنفسك عدداً من الكتاب، واقأي جميع كتبهم. وهكذا تكوني قد وقفت على جزء كبير من علمهم. ولو امكنك ان تشتركي في مجلتين شهرياً على الاقل كان هذا شيئاً مفيداً جداً. فان لم تستطيعي قراءتهم فعلى الاقل اطلعي على عناوينهم الرئيسية.

٧- اعتن جداً بصحتك. ابتعدي عن الاكثار من ثلاث مواد بيضاء حلال فالاكثار من اي منها يضر بوظائف الجسم والمخ والمواد البيضاء الثلاثة هي:

١- الدقيق. ٢- السكر ٣- الملح.

٨- لا تعيشي حزينة وتحرمي السعادة على نفسك. واعلمي ان الذين يضحكون كثيراً او يبكون كثيراً، لا يصبحون دعاة متميزين. فالله سبحانه وتعالى أمرنا في القرآن الكريم بالاعتدال في كل شيء. بمعنى الا نسرف في الشيء ولا نقتر منه وانما "الاعتدال".

٩- إذا سمحت امكانياتك اذهبي الى مكان كالصحراء مثلاً للاسترخاء. وايضاً اذهبي الى مكان مليء بالاكسجين شهرين في السنة على الاقل، لتجديد خلايا المخ.

١٠- وإذا تعرضت للخيانة من الناس فلا تغضبي من الاسلام. عودي نفسك على تلقي العلم، استريحي ونظمي وقت فراغك ان كنت تهتمين بصواب ما تفعلينه فلا تهتمي بما يقوله الناس. اجتهدي ولكن لا تخافي، ولا تتراجعي. فالتعب والاجهاد شيء طبيعي وينتهي تماماً عندما تستريح. ولكن الخوف والوجل لا ينتهي بالراحة. فهو يقضي ان يبعث الانسان من جديد كي يتخلص منه.

- والآن هل نكتفي بهذا القدر يا ماريا. آسف يا سلوى؟

- انت تعرف هذا افضل مني. فما وجهت الى من نصائح غاية في الاهمية، ومهما شكرتك فلن اوفيك حقك.

وفجأة نظرت الى ابي بشغف. عجبا هل يتحامل كي يعرف ما يدور في ذهن عبد الوهاب؟ كيف يتغير هذا الرجل بهذا الشكل؟

سألته بفضول:

- ماذا فعلت يا عبد الوهاب كي تغير والدي؟

- لم افعل اي شيء كي اجعله يتغير. ولكني عملت لكي أؤدي واجبي نحوه. فلو ان كل انسان تخيل استحالة دخول هذا الشخص للاسلام، لو ترسخ عندنا اعتقاد كهذا، لما أدى أحد واجبه. ولا يوجد احد كبير على الاسلام مهما علا.

وبعد هذه المعلومات القيمة عدنا الى المنزل. وسافر عبد الوهاب في اليوم التالي الى مصر.

بكيت بعده كثيراً ... لم استطع التحكم في مشاعري ... اضطربت حياتي وشعرت بالارق. ولكن كان يجب على ان اتعود على هذه المحنة ما اعجب هذه الحياة. كنت لا اتخيل ان يأتي علي يوم اقص فيه حياتي على امينة شنلك اوغلي.

أنهيت كل استعداداتي. سأذهب الى استانبول لاستقر فيها مع جارتي العزيزة هناك. ولكن هل أكون قد احسنت بترك البيت؟ نعم ولا، فجارتي قالت لي ان المكان المناسب للمسلمة هو بيت ابيها او اخيها او زوجها، ولكني لا اترك الدار. وإنما هم الذين يريدون ذلك...

امي قالت لي اغربي عن وجههي، وكأن رغبتهم في تركي البيت لا تكفي.

أبكي بشكل مستمر، ما أغرب هذه الدنيا وهي خالية، لقد مرت علينا ايام في هذا العام وكأنها الدهر، في حين اننا لم نكن ننتظر ذلك.

سألتني أمي بمنتهى الحرص:

- مرت ايام على اختفاء عبد الوهاب. عجباً مذاذا حدث ثانية؟
- لقد ذهب الى مصر يا امي ولن يعود مرة أخرى.
- وزواجكم؟
- لن يحدث، وجدنا أن هذا أنسب.
- أنت تظنين هذا، ولكن الحقيقة أن عيسى هو الذي أعاده إلى مصر.
- إن عيسى الذي تذكرينه يا أمي، ليس هو عيسى الذي يؤمن المسلمون بنبوته. فعيسى عند المسلمين لا توجد لديه امكانية ايقاع الجزاء على المذنبين. لذا فان الاعتقاد بان عيسى قد اعاده الى مصر اعتقاد خاطئ.

- لقد لطمه عيسى لطمة اعادته الى مصر.
- هراء... لو كان هناك جزاء، لما جاء الا من عند الله. ارجوك. كفاك يا أمي، لقد ذهب منذ اسبوع وكان سيبعث الي ببرقية ولكنه لم يرسلها ... ولذا فانا اشعر بالضيق. ليس هذا فقط وانما اشعر بأن روحي تسحب مني.
- وفي هذا لاوقت بالضبط دق جرس الباب.
- هذا هو رجل البريد يا أمي، دعيني أفتح أنا الباب.

وعندما فتحت الباب لم أصدق عيني.

- آه، عبد الوهاب! ماذا تفعل هنا؟!
- لقد ماتت سلوى منذ مدة طويلة ولكن لما علمت اسرتي بأني أنوي الزواج بفتناة ألمانية أخبروني كذباً بأنها لم تمت. انظري إلى حال الإنسان. هناك بعض الاحيان التي يشعر فيها الانسان بالسعادة لموت إنسان آخر، ولكن ماذا نفعل؟

وفي هذه اللحظة سمعت صوت أمي تقول:

- من الطارق يا ماريا؟
- إنه عبد الوهاب يا أمي. لطمه عيسى لطمة أتت به من مصر إلى هنا.

## - النهاية-

# هذا الكتاب

## من وجهة نظر القراء

١- الحمد لله على نعمة الاسلام.

٢- انا فتاة مسلمة ولكن عندما قرأت الكتاب أدركت أنني لابد أن أدخل من جديد في الاسلام فلم أكن الا مسلمة بالوراثة ولكن بعد قراءته اكتشفت معنى الاسلام الحقيقي.

٣- أنا لا أقرأ إلا باللغة الانجليزية ولا استطيع مطلقاً متابعة أي كتاب باللغة العربية للأسف إلا أن ماريا ... كان هو الكتاب الوحيد الذي كسر تلك القاعدة عندي.

٤- لقد سهرت على قراءته طوالا الليل لم تغلق عيني لحظة إلى ان انتهيت منه.

٥- رواية ماريا غيرت مجرى حياتي كله.

٦- كلما فترت علاقتي بالله سبحانه وتعالى أقرأ ماريا فتعطيني دفعة قوية جداً وتعيد لي حماسي وانتمائي للاسلام.

٧- اكتشفت بعد قراءة الكتاب انني على استعداد تام ان اناقش اي احد لديه اعتراضات على اعظم دين وآخر دين.

٨- لقد شعرت بالخزي والحزن على نفسي عندما وجدت سلوى وعبد الوهاب يفخرون ويدافعون عن الاسلام بتلك الطريقة فقررت أن أكون رمزاً صحيحاً للاسلام....

٩- وجدت أنني يجب أن أغير أشياء كثيرة جداً في حياتي.

١٠- أنا شعرت إن هذه الدنيا ليس لها أدنى قيمة بدون القرآن والاسلام.

١١- لازم نفوق!!

**أمينة شنلك أوغلو**

**الكاتبة التركية التي عاشت أحداث**

**كثيرةت من الرواية بنفسها وهي من**

**صاغتها بأسلوب أدبي رفيع وترجمتها**

**للعربية والألمانية والانجليزية ولقد**

**طبعت تلك لانسخة في مصر ١٥ عاماً**

**وها هي تطبع للمرة الثالثة- بفضل الله-**

**حيث كانت تلك هي رغبتها ان تنتشر كل**

**مؤلفاتها وكتاباتها التي تعد جميعاً قصص**

**واقعية وحقيقية من الحياة و**

**للكاتبة مؤلفات أخرى عديدة**

**يمكنكم زيارة صفحتها على ال**

**Face book:**

**Emine Ozkan Senlikoglu**

**الناشر ١٤٣١/ ٢٠١٠**